الباب الثالث

أدوات تحقيق الإنماء الاقتصادي

في الإسلام

تناولنا في البابين السابقين خصائص نموذج الإنماء الإسلامي ، ثم أهداف نموذج الإنماء الإسلامي ، وننتقل في هذا الباب إلى دراسة أدوات تحقيق الإنماء الاقتصادي في الإسلام ، وتحقيق الإنماء وفقاً للنموذج الإسلامي لا يعتمد على أداة واحدة ، بل يعتمد على أكثر من أداة ، وذلك ناتج عن تعدد وتشعب مجالات الإنماء ، حيث يحتاج كل مجال في المعتاد إلى أداة ترتبط به وتلائمه ، والقول بأن نموذج الإنماء الإسلامي يحتاج إلى أكثر من أداة لتحقيق أهدافه التي سبق أن ذكرناها ، يؤكده تشعب أهداف ذلك النموذج وكذا شموله لكافة جوانب الحياة ، وهذه أهم خصائص النموذج كما سبق وأوضحنا .

والأداة عبارة عن آلية تقوم بنقل الهدف من إطاره النظري الذي لا يتجاوز كونه رغبة إلى الواقع الملموس ، حيث يصبح فعلاً وسلوكاً وحركةً ، والأداة لابد أن تتلاءم مع الهدف من حيث الحجم والموضوع .

ومسألة التلاؤم لا تنصرف إلى العلاقة بين الهدف والأداة فقط ، بل تنصرف كذلك إلى العلاقة بين النموذج الإنمائي ذاته وبين أهدافه وأدواته ، فكما لكل نموذج إنمائي أهدافه له كذلك أدواته التي يحددها تحديداً دقيقاً لتحقيق أهدافه ، ولعل معظم الأخطاء والمثالب التي تعتري نماذج الإنماء المختلفة تكون في العادة ناتجة عن غياب التلاؤم المذكور بين النموذج وبين أدوات تحقيق أهدافه ، فقد يختار النموذج الإنمائي أداة غير فعّالة لتحقيق هدف استراتيجي ، فتتقاعس الأداة عن تحقيق هذا الهدف ، ويُتهم النموذج بالقصور ويُصاب بالإخفاق ، ويُرمى بعدم الصلاح .

يضاف إلى ما تقدم مسألة أخرى تتعلق بالرقابة والتقييم المستمر لأدوات تحقيق الأهداف ، فهذه الأدوات في احتياج دائم إلى الرقابة والتقييم المستمر لنتائج الإنجاز وسرعة التحرك وتعديل المسار في حالة الانحراف أو القصور ، ويُستحسن أن يلحق بكل أداة جهاز للتقييم

المستمر والرقابة وتعديل المسار ذاتياً ، وذلك أدعى للسلاسة والسرعة في تدارك الأخطاء وتصحيحها ، وأبعد عن الأساليب الروتينية الطويلة التي تُعدد الإجراءات ، وتطيل الوقت ، وغالباً ما تكون بعيدة عن مجريات الأحداث فتكوّن نظرة غير صائبة .

إن ثمة تساند وتعاضد قوي بين أدوات تحقيق أهداف نموذج الإنماء الإسلامي ، فكل أداة ترتبط بالأداتين الأخريين ارتباطاً عضوياً ، فهي ضرورية لعمل وحركة الأخريين ، فلا يُتصور عمل الأداة الثقافية الحضارية بمعزل عن الأداة الاقتصادية المادية أو الأداة العقائدية الروحية ، ولا يتصور كذلك عمل إحدى الأدوات وتوقف الأخريين أو إحداهما ، فذلك يصيب النموذج على الفور بالخلل والتوقف .

وتعد الأداة الثقافية الحضارية هي أول أدوات نموذج الإنماء الإسلامي لتحقيق أهدافه والأداة الثقافية الحضارية تستهدف كما سبق التبيان تحقق الذات الحضارية والثقافية للإسلام ، وبعبارة أخرى تستهدف أن تعلن على العالم أن الإسلام يملك نظرة خاصة للوجود وللكون وعناصره ، ومنطقاً ذاتياً فيما يتعلق بالمعارف والعلوم الخاصة بالإنسان والمجتمع والطبيعة ، وهي عندما تعلن ذلك على العالم تقرن الإعلان بتقديم طروحات معرفية وأنظمة وقوانين ، وعندئذ تتحدد مهمة الأداة بشكل واضح في تجهيز وإعداد تلك الطروحات والأنظمة والقوانين والدفع بها إلى العالم لكي تخوض غمار النزال الفكري في ساحة الحوار الحضاري .

بعد ذلك تأتي الأداة الاقتصادية المادية التي تستعير الطروحات والأنظمة والقوانين ذات العلاقة بالنواحي الاقتصادية والمادية والتي أعدتها الأداة الحضارية – كما سبق الوصف – ثم تعمل على تفعيلها وتحويلها إلى نماذج تجريبية للممارسة والحركة حيث تعمد من خلالها إلى تحقيق هدف بناء الشق المادي للإنسان المسلم .

وفي الأخير تأتى الأداة العقائدية الروحية لتستهدف تزكية القيم الإنمائية والروحية في حياة المسلم عن طريق سياسات التعليم والتثقيف المختلفة .

في هذا الباب نتناول أدوات تحقيق أهداف نموذج الإنماء الإسلامي من خلال الفصول الثلاثة التالية :

الفصل الأول : الأداة الثقافية الحضارية .

الفصل الثاني : الأداة الاقتصادية المادية .

الفصل الثالث : الأداة العقيدية الروحية .

الفصل الأول

الأداة الثقافية الحضارية

تمارس الأداة الثقافية الحضارية مهمتها من أجل تحقيق هدف نموذج الإنماء الإسلامي المتعلق بالثقافة والحضارة الإسلامية من خلال بناء فكري تتدرج فيه الممارسات المعرفية عبر منطلقات متتابعة تبدأ بالارتقاء بالفكر الإسلامي ، وتنتهي بالإعلام الذي يدفع بالطروحات الإسلامية إلى المعترك الدولي حيث تلتقي بالطروحات الثقافية والحضارية من كل صوب وحدب ، وتكون النتيجة النهائية ، إما تنافر وتباعد وربما صراع وتناطح ، وإما تحاور ثم تفاعل فتلاقي .

تبدأ الأداة الثقافية الحضارية منطلقاتها نحو تحقيق الذاتية الحضارية للإسلام من خلال الارتقاء بالفكر الإسلامي إلى مستوى الإسلام ، الأصل والمنبع ، العقيدة والشريعة ، النموذج والممارسة ، وهذه المرحلة في منتهى الأهمية والخطورة ، فكل المراحل الأخرى ستترتب عليها ، وهي تمثل الضرورة الملحة في الوقت الراهن لتفعيل هذه الأداة بل وتفعيل الأدوات الأخرى .

ويعقب ذلك بالتتابع استنباط الأصول والقواعد فيما يتعلق بالعلاقة بين النشاط الإنساني المتمثل في الفكر والحركة وبين عناصر الوجود من جهة وبين الإنسان والمجتمع من جهة أخرى .

والأصول والقواعد تمثل العصب والقوام للطروحات المعرفية المتعلقة بعناصر الوجود من ناحية ، والمرتبطة بالإنسان والمجتمع من ناحية أخرى ، والطروحات المعرفية تجر في ركابها التصنيفات الثقافية في كل المجالات والأنشطة .

ومن الطروحات المعرفية والإسهامات الثقافية يمكن صياغة الأنظمة والقوانين التي على أساسها ترتكن نماذج الممارسة والحركة أو ما يعرف بالنظم أو الأنساق في كافة المجالات والأنشطة .

وهذا البناء الفكري المتناسق البديع يحتاج إلى من يقدمه ويعرضه للآخرين عبر قنوات عديدة ، ومن ثم تبدأ مرحلة العالمية والانتشار ، ويتسنى للإسلام أن يثبت ذاته كرسالة خالدة أبدية وثقافة إنسانية وحضارة عالمية ، ونتائج ذلك الخروج والانتشار قد تكون تنافراً وصراعاً ، وقد تكون تحاوراً وتفاعلاً وتلاقياً ، إلا أنها في كل الأحوال لصالح الإسلام ، فهو لا محالة سيؤكد منطقه الثقافي وذاته الحضارية رغم أنف المكابرين .

وعليه تخصص هذا الفصل لتفصيل المفردات السابقة الخاصة بالأداة الثقافية الحضارية وذلك من خلال المباحث الخمسة التالية :

المبحث الأول : الارتقاء بالفكر الإسلامي .

المبحث الثاني : استنباط الأصول والقواعد .

المبحث الثالث : بناء الطروحات المعرفية .

المبحث الرابع : صياغة الأنظمة والقوانين .

المبحث الخامس : الإعلام والإخبار .

شكل بياني رقم (١٢) يوضح طريقة عمل الأداة الثقافية الحضارية

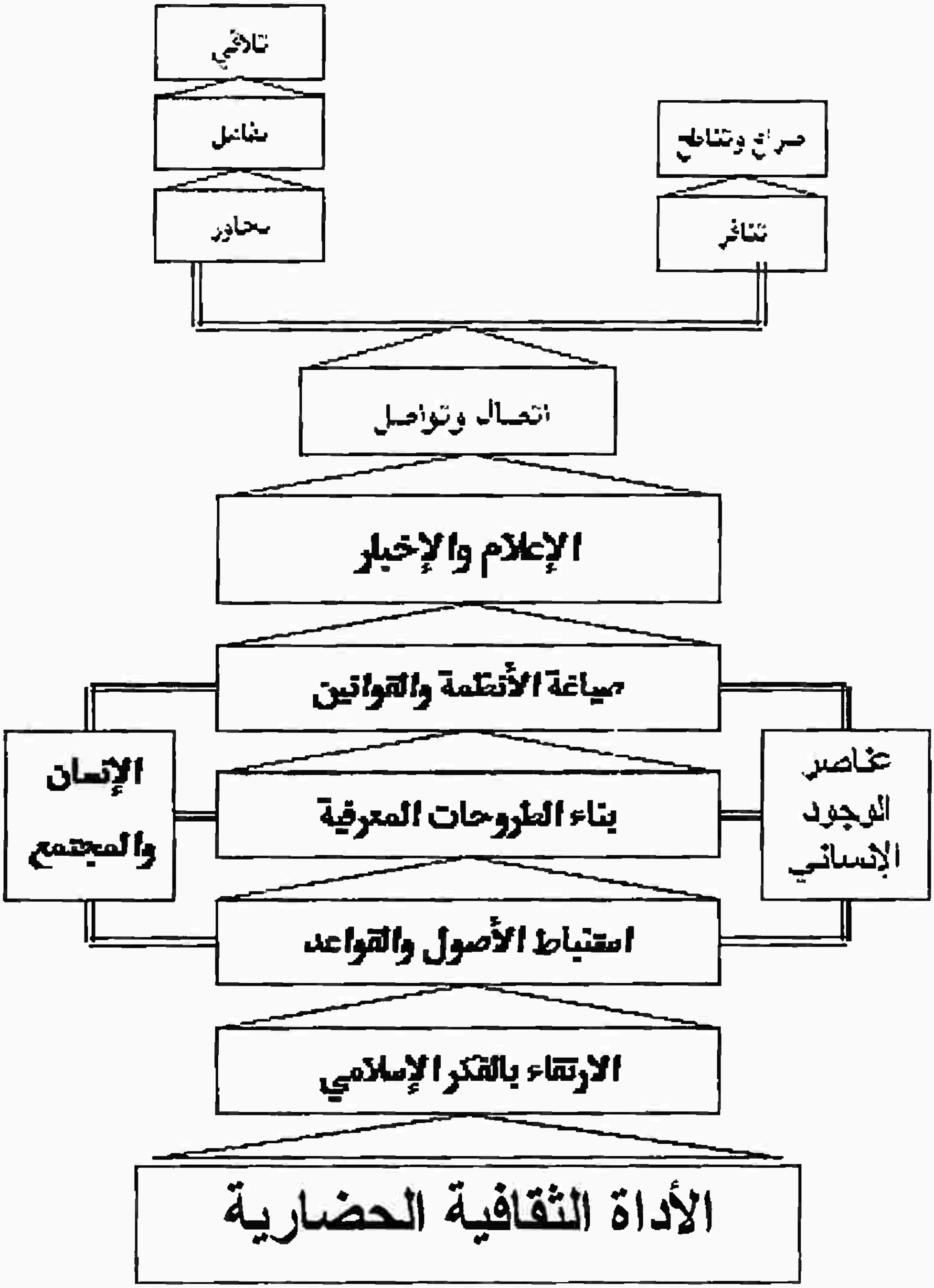

المبحث الأول

الارتقاء بالفكر الإسلامي

يمر العالم ومعه مسيرة الفكر البشري ، بمنعطف حاد وخطير ، يُتوقع له أن يؤثر على تلك المسيرة خلال القرن الجديد ، ولقد مرت الإنسانية بمنعطفات شبيهة طيلة تاريخها الممتد ، وهي دائماً كانت تخرج من تلك المنعطفات ، مرات بمكاسب ، ومرات بخسائر ، وثمة علاقة ارتباط عضوي بين التطورات المادية ، والحركات الفكرية في التاريخ الإنساني ، والتقييم الموضوعي لحركة التاريخ الإنساني ، يُنبئ عن تلك العلاقة العضوية ، ويؤكد على أن تلك العلاقة ليست في اتجاه واحد ، بل هي تتم في اتجاهين متضادين ، فالتطورات المادية كانت دائماً نتيجة لحركات وانتفاضات فكرية ، كما كانت الأخيرة في ذات الوقت نتيجة لفورانات مادية جارفة وهكذا كان التاريخ الإنساني ، حلقات مترابطة ، تأخذ من بعضها لتعطي البعض الآخر ، في حركة دائبة .

وخلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المنصرم ، برزت حزمة من المستجدات ، كانت بمثابة التحديات التي دفعت بالعالم إلى تعاريج ذلك المنعطف ، وتتمثل تلك المستجدات في الآتي :

أولاً : التطورات التقنية المتلاحقة :

بالفعل هناك نشاط ملحوظ في الابتكارات والاختراعات ذات الطابع التقني ويمكن القول بأن تلك التطورات ، هي المحور الرئيسي والمحرك الأساسي ، لدفع العالم [illegible] الاتجاه المنعطف الذي وصلت إليه في الوقت الراهن ، وقد سحب ذلك التطور [illegible]

سماته على هذه الحقبة من التاريخ البشري ، فنصبح على ثورة الاتصالات ، ونمسي على ثورة المعلومات ، ونبيت على شبكات الاتصالات ، والمعلومات العابرة للقارات .

ثانياً : طوفان المعلومات :

تولّد تلقائياً عن التطورات التقنية المتلاحقة ، طوفان جارف من المعلومات ، منها القيّم ومنها الغث ، وبات الناس في حيرة من أمرهم ، كيف يُقدّر لهم ملاحقة تلك التطورات ، ومتابعة المجريات ، وانشغل البال وشرد الفكر .

ثالثاً : اختراق الحدود ، وسيولة الإعلام :

طوفان المعلومات الجارف ، نتج عنه فيضانات عارمة من العلوم والمعارف والفنون والأخبار ، اجتاحت السدود ، واخترقت الحدود ، ولم يعد في استطاعة أية دولة أن تقيم بين مواطنيها وبين تلك الفيضانات حواجز أو جسوراً ، وأصبح المواطن في نهاية المطاف ، بما يملك من قدرات عقلية ، وتكوينات فكرية ، هو المعيار الوحيد للحكم على تلك المعلومات ، وبالتالي قبولها من عدمه .

رابعاً : انهيار الأيديولوجية الشيوعية :

تصادف أن زامن هذه التطورات العلمية في حقل الاتصال ، تطور سياسي عالمي خطير ، لعله الأخطر بعد الحرب العالمية الثانية ، هو انهيار ما سمي تجاوزاً بالأيديولوجية الشيوعية ، التي كانت خليطاً غير متجانس من أفكار إلحادية شاردة لماركس وإنجليز ، ومن جاء بعدهما مثل لينين وتابعيه ، وعليه ولأسباب عديدة — لا مجال للخوض فيها —

انتهت نظرياً تلك الأيديولوجية ، التي لم توضع أبداً على أرض الواقع ، وتحوّلت إلى تراث فكري مشوّه ، يدرّس كجزء من تاريخ الفكر الإنساني .

خامساً : انهيار النظم الشمولية في الاتحاد السوفياتي ، وشرق أوربا :

وعلى المستوى النظمي ، انهار الاتحاد السوفياتي ومعه النظم الشمولية في شرق أوربا التي اعتبرت تطبيقاً للأيديولوجية الشيوعية ، وكان ذلك يعني الكثير ، على مستوى العلاقات الدولية والنظام الدولي العالمي ، والصراع السياسي والفكري بين دول العالم .

تطورات تقنية متلاحقة ، تشقي الإنسان بقدر ما تسعده ، ووفرة بل تخمة من معلومات ، معظمها تافه مبتذل ، وقليلها قيم محترم ، ووسائل اتصال متطورة ، اخترقت الحدود وتجاوزت خصوصية القيم وذاتية المبادئ والمثل ، وانهارت معها نظريات السيادة البائدة ، وفلسفات تتهاوى ، وأفكار تتبخر ، ونظم تنهار ، وحكومات تتصدع ، وصرنا نرقب في ذهول ، لا نكاد نرى شيئاً ، فلقد ذهبت الألوان مع حاسة الفرز البصري ، ونسترق السمع ، فلا نكاد نسمع شيئاً ، واختلطت الأصوات ، ولم تعد تجدي حاسة الاستشعار والتمييز السمعي ، فليس هناك إلا صوت واحد ، هو هتاف أصحاب العولمة ، والمعجبين بالكلمة في كل أنحاء العالم .

لقد كانت نتائج ما تقدم مفزعة ، مخيفة ، فالمتأمل لتلك التطورات ، البصير بعواقبها ، عكف على رصد العواقب ، والتحسب للنتائج ، ولكن ماذا كانت النتائج ! .

سادساً : طغيان الفكر المادي ، والترويج للصراع الاقتصادي الشرس :

لقد كانت النتيجة المفزعة المتوقعة ، هي طغيان الفكر المادي ، ومفاد ذلك الفكر وخلاصته ، هو التخطيط لزيادة ثروة الغني ، ومواصلة تقدمه وتطوره ، حتى ولو كان على حساب الفقير الذي يزداد فقراً وتخلفاً ، وتمثلت أهم آليات هذا الفكر في ما عرف بتحرير التجارة ، وإزالة الحدود والقيود المفروضة على المنتجات والسلع ، ومن نتائج ذلك أن تزداد الدول الصناعية ذات القلاع الإنتاجية العملاقة ثراءً ونفوذاً وفي المقابل تتوقف معظم المصانع القائمة بالدول المتخلفة ، لعجزها عن تصريف منتجاتها حتى في بلادها ، بالإضافة إلى الصراع والتنافس المتوقع بين الدول الصناعية الغنية ، على الأسواق لتصريف منتجاتها ، ولسوف يكتوي العالم مرة أخرى بنيران هذا التنافس الشرس ، الذي يعيد إلى الأذهان المد الأوربي والخروج العظيم الذي حدث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

سابعاً : اتهام كل من لا يشارك في هذه الفوضى الفكرية بالتخلف :

لقد اعتاد المروّجون لأفكار العولمة وما صاحبها ، اتهام كل من لا يشارك في التطورات الأخيرة ، ويزكيها ويثني عليها ، بأنه متخلف ، وغير مواكب لركب الحضارة والتقدم ! وهناك الكثيرون الذين عكفوا على دراسة التطورات الأخيرة وتمحيصها ، ومما لا شك فيه أن هذه التطورات – وكما سبق الإيضاح – ستحقق مصالح كثير من الدول ، وستُلحق الضرر بدول أخرى ، ومن ثم فهي تطورات ليست إيجابية في كليّتها ، وليست سلبية في كليتها .

ثامناً : اكتساب الفلسفة الفردية بريقاً زائفاً وجاذبية كاذبة :

اعتبر البعض ، أن انهيار الأيديولوجية الاشتراكية ، والنظم السياسية المطبّقة لها في الاتحاد السوفياتي ، ودول شرق أوربا ، انتصاراً للفلسفة الفردية ، ونظمها السياسية في الولايات المتحدة ودول غرب أوربا ، ولكن الأمريكيين والأوربيين الذين يتحرّون الدقة والموضوعية في تقييم التطورات الأخيرة ، يوقنون أن الأمر ليس كذلك ، انطلاقاً من علمهم اليقيني بأن فلسفتهم مصابة بعاهات مزمنة لا يفلح معها علاج ، ونظمهم السياسية موبوءة ، ولن يجدي معها تعقيم ، وبالرغم مما تقدم ، فإن الرائج لدى العامة والمتعلمين ، أن الفلسفة الفردية ، قد قهرت الفلسفة الشمولية ، عدوها اللدود ومن ثم فقد أصبحت أكثر بريقاً وجاذبية ! .

تاسعاً : انتعاش ظاهرة التغرّب :

انطلاقاً من البريق والجاذبية ، التي اكتسبتهما الأيديولوجية الفردية ، نظريةً ونظاماً ، تسنّى لها استقطاب عقول وأفئدة الكثير من أدعياء الفكر ، الذين هجروا بيئاتهم الفكرية ، وانجرفوا إلى تلك الأيديولوجية مبهورين ، وأصبح من المعتاد أن نجد فلسفات بدون فلاسفة ، وعقائد بدون معتنقين ، وازدهرت ظاهرة التغرّب مرة أخرى ، وتبارت الأقلام وتنافست في سبيل نقل فلسفات الغرب ، وأنماط سلوكهم ، وطرق معيشتهم ، فهي الطريق لمن أراد أن يتقدم أو يتطور ! .

ولم نكن نحن المسلمين بمنأى عن هذا المنعطف الخطير ، فقد انغمس كثير من مفكرينا في هذه الفوضى الفكرية ، والمعارف اللامعيارية ، وتمرّدنا على تراثنا الفكري وماضينا الحضاري ، ولم يتورع البعض في أن يجعل من ذلك التراث الفكري ، والماضي الحضاري

مادةً للتندّر ومثاراً للسخرية ، ولم يكن ذلك التراث الخصب عقيماً أو معيباً ، ولكن كان العيب فينا ، فلم نقدّر تراثنا حق قدره ، ولم نحترمه كما ينبغي ، ولم نحافظ عليه ، بالتجديد والتطوير ، ومواكبة العصر ، وسبب ذلك أننا لم نعد نفهم ذلك التراث ، الذي أصبح بالنسبة للغة عصرنا – السطحية الضحلة – أعجمياً ! .

والآن ، ليس أمامنا إلاّ أمرين :

❖ **الأمر الأول** : أن نرتقي بمستوى تفكيرنا ، وننتشله مما انجرف إليه ، وتورط فيه من فكرٍ دخيل ، أنسانا ماضينا ، وأفسد علاقتنا به ، وجعله غريباً علينا ، ونحن عليه دخلاء ، ونعدّ تفكيرنا ونؤهّله للخوض مرةً أخرى في الفكر الإسلامي ، أصلنا الثابت .

❖ **الأمر الثاني** : أن نعمد إلى تطوير فكرنا الإسلامي ، وننقيه مما يحول بينه وبين التعامل مع الحياة العصرية ، بتفاعلاتها وتداخلاتها ومستجداتها ، والقفز إلى حلبة الصراع الدائر بين الأفكار ، ودحض تلك الأفكار الهشّة .

إن الأمرين ، لابد أن يلتقيا في نقطة بينهما ، وهذه النقطة هي منطلق الفكر الإسلامي المعاصر إلى السيادة والازدهار .

كيف تفاقمت أزمة الفكر الإسلامي ؟ في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، اكتمل واجتمع عنصري الدين الإسلامي ، كتاب الله [القرآن الكريم] وسنة رسوله الأمين [السنة النبوية المطهرة] وخلال هذه الفترة العظيمة من التاريخ الإسلامي ، لم يكن " للاختلاف أو التعارض في المسائل الدينية مجال، مادام الأصل الذي يُرجع إليه عند التحاكم معلوماً "[1] ،

---

[1]. السيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سابق ، المجلد الأول ، ص ص ٨-٩ .

وقد قال الله تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] ، وقال الله تعالى " ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[2] ، كما قال الله تعالى ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[3] ، وقال الله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾[4] ، وقال الله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[5] ، وقال الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾[6] ، وقال الله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[7] ، وقال الله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾.[8]

على هدي الرسول الأعظم ، سار خلفاؤه الراشدون من بعده " ومن بعدهم من القرون المشهود لها بالخير والصلاح ، ولم يقع بينهم اختلاف ، إلاّ في مسائل معدودة ، كان مرجعه التفاوت في فهم النصوص ، وأن بعضهم كان يعلم منها ما يخفى على البعض الآخر " .[9]

وفي مرحلة تالية ، أُغلق باب الاجتهاد ، وألف الناس التقليد والمحاكاة ، وفقدوا الاهتداء بالكتاب والسنة " وصارت الشريعة هي أقوال الفقهاء ، وأقوال الفقهاء هي الشريعة ، واعتُبر كل من يخرج على أقوال الفقهاء مبتدعاً ، لا يوثق بأقواله ، ولا يعتد بفتاويه "[10] ، واتسمت هذه الفترة بثلاثة خصائص ، تمثلت في الآتي :

---

[1]. سورة النساء : ٥٩ .
[2]. سورة الشورى : ١٠ .
[3]. سورة النحل : ٨٩ .
[4]. سورة الأنعام : ٣٨ .
[5]. سورة النحل : ٤٤ .
[6]. سورة النساء : ١٠٥ .
[7]. سورة المائدة : ٣ .
[8]. سورة النساء : ٦٥ .
[9]. السيد سابق ، فقه السنة ، مرجع سابق ، المجلد الاول ، ص٩ .
[10]. المرجع السابق ، ص ١٠ .

❖ العكوف على التقليد والمحاكاة .

❖ فقدان الهداية بالكتاب والسنة .

❖ إغلاق باب الاجتهاد .

وترتب على المرحلة السابقة ، بخصائصها الثلاثة ما يلي[١] :

– تفرّق الأمة الإسلامية إلى شيَع وأحزاب .

– انتشار البدع ، واختفاء معالم السنن ، وجمود الحركة العقلية ، ووقف النشاط الفكري وضياع الاستقلال العلمي .

– ضعف شخصية الأمة ، وإفقادها الحياة المنتجة ، والقعود بها عن السير والنهوض .

– تسلل الدخلاء إلى صميم الإسلام .

وهكذا فقد " انتهى الأمر بالتشريع الإسلامي الذي نظم الله به حياة الناس جميعاً ، وجعله سلاحاً لمعاشهم ومعادهم ، إلى أن أصبح الاشتغال به مفسدة للعقل والقلب ومضيعة للوقت ، لا يفيد في دين الله ، ولا ينظم من حياة الناس " .[٢]

توقف العطاء والاجتهاد في الإسلام عند هذا الحد ، وكفّ الفكر الإسلامي عن التعامل والتفاعل مع الحياة ، التي تعجّ بالحركة والنشاط من حوله ، في ذات الوقت كانت أوربا قد بدأت تفيق من سباتها العميق في عصورها الدامسة [العصور الوسيطة] وبدأت عصور نهضتها وتقدمها ، والتي أُطلق عليها فعلاً [عصر النهضة] وأطلقت العنان لفكرها الذي

---

[١]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .
[٢]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ظل مكبلاً لمدة ألف عام ، فانطلق نهماً شغوفاً ينشد التطور ، ويتوق إلى التقدم ، وقد كان لذلك الفكر ما أراد ، وولج بأوربا إلى عالم جديد في فكره وحياته .

وعندما تيقظ المسلمون ، وقع بصرهم على ما وصلت إليه أوربا ، وما حققته من تقدم وتطور ، فانبهروا بما شهدوا ، وأخذهم ما رأوا ، وانقسم المسلمون على أنفسهم فريقين :

❖ **الفريق الأول** : انطلقوا دون روية ، واندفعوا دون تعقل ، آمّين مجتمع أوربا الجديد " يسلكون سبيله ، ويقلدونه في خيره وشره ، وحلوه ومره "[١] ، ولم يتوان أعضاء هذا الفريق عن العمل على نقل الأفكار والفلسفات والتشريعات والنظم وأنماط الحياة بكل ما لها وما عليها ، ولم تلبث أنماط الحياة الغربية ، أن هيمنت على كافة نواحي الحياة في المجتمعات المسلمة ، وبدأت تلك المجتمعات تعاني الأمرّين وكادت صلاتها بماضيها تتبدد وروابطها بتراثها تتقطع .

❖ **الفريق الثاني** : تجمدوا في مكانهم ، " وانطوا على أنفسهم "[٢] ، وعكفوا على مواصلة البحث فيما لا طائل من ورائه ولا جدوى ، وانقطعوا عن المشاركة في مستجدات الحياة ومتغيراتها ، وإذا بهم يقدمون برهاناً ساطعاً على أن شريعة الإسلام لا تجاري التطور ، ولا تتمشى مع الزمن ، وكان من شأن هذا البرهان أن يؤدي إلى نتيجتين أحلاهما مُرة :

– النتيجة الأول : أصبح اللجوء إلى الأيديولوجيات والفلسفات الدخيلة أمراً مبرَّراً منطقياً ، بل أصبح إحدى الضرورات ، لإنقاذ المجتمع المسلم من التخلف والجهل .

---

[١]. المرجع السابق ، ص ١١ .
[٢]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .

– النتيجة الثانية : لم يعد التفرنج والتغرُّب الفكري والسلوكي عاراً على المسلمين ، بل أصبح مدعاة للفخر والاعتزاز ، حيث أن المتفرنجين والمتغربين فكرياً وسلوكياً : تمكنوا من إقناع أنفسهم ، وإقناع غيرهم ، بأنهم منقذو هذه الأمة وروّاد تقدمها .

وانتهى الأمر بالفكر الإسلامي إلى وضعية مؤسفة ، تبلورت في الآتي :

❖ التحول عن القضايا الكلية والأصول العامة ، إلى المسائل الفرعية التافهة ، ورسخ في ذهن المتفتحين من علماء المسلمين ، أن الفكر الإسلامي والبحث في قضاياه لم يعد إلاّ من قبيل إضاعة الوقت والجهد ، وانصرف الكثيرون إلى أمور أخرى أجدى نفعاً .

❖ في هذا الجو المعتم الموبوء بالتخلف والانحطاط ، تسلّل الدخلاء من مرضى القلوب والعقول إلى صفوف المفكرين المسلمين ، ومعهم أفكار دخيلة على الإسلام ، وقد ساعد ذلك على الإساءة إلى الدين الإسلامي وطريقة تعامله مع قضايا العصر ومستجدات التطور .

❖ أُغلق باب الاجتهاد في الإسلام ، ولم يعد أحد يملك الجرأة على التجديد ، وواصل الجامدون الانكفاء على ما افرزه الدخلاء .

❖ قيام الدول الأجنبية – الغربية والشرقية – ببث أيديولوجيات دخيلة على المجتمعات المسلمة ، وأقرنت ذلك بحملة دعائية شرسة ، تصف التراث الإسلامي بالعقم ، وتجرده من صلاحيته للتطبيق كأيديولوجية ونظام .

❖ تشجيع حكومات الدول الإسلامية لحركات النقل من الخارج ، وتشجيع المفكرين على استيراد تلك الأفكار والترويج لها ، ووضعها موضع التطبيق .

❖ لقد أقدم كثير من الباحثين في مجال الظاهرة الاجتماعية ، على الابتعاث إلى الجامعات الأجنبية في دول أوربا والولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفياتي ، وقد أصيب هؤلاء الدارسون بالانبهار والإعجاب بنمط الحياة في هذه المجتمعات ، والأفكار والفلسفات التي تسودها والنظم السياسية التي تطبقها ، وقد أعقب حالة الانبهار والإعجاب اقتناع بهذه المنظومة من الأيديولوجيات والنظم ، تحول في معظم الأحوال إلى اعتناق ، تطور إلى اعتقاد ، وقد عُرفت هذه الظاهرة بظاهرة التغرُّب ، وقد ترتب على هذه الظاهرة نتائج عديدة ، تركت أثارها السيئة على الفكر الإسلامي في الدول الإسلامية .

❖ صاحب حركة الابتعاث وظاهرة التغرُّب حركة ترجمة واسعة النطاق ، قام بها المبتعثون والدارسون أنفسهم ، انطلاقاً من إلمامهم بلغات الدول المقيمين فيها ، شملت هذه الحركة الأفكار والفلسفات والنظم السياسية ، وقد رسخ في ذهن العامة أن ترجمة تلك الفلسفات والنظم والأفكار يعني الإعجاب بها والرغبة في تطبيقها ، وكان ذلك هو نفس رأي وهدف الكثير من المترجمين ، وقلة قليلة منهم التي تمثل هدفها الأساسي في الرغبة المجردة في الإطلاع على ثقافات ومعارف الآخرين .

بفعل العاملين المتقدمين أقدم الكثير من الدول الإسلامية على نقل وتطبيق نماذج من النظم السياسية الأجنبية ، وذلك لسببين :

– السبب الأول : عدم وجود بدائل نابعة من الفكر الإسلامي ، الذي بدا في ذلك الوقت مهلهلاً ، وغير قادر على تقديم البديل الملائم .

– السبب الثاني : إعجاب المجتمعات الإسلامية ، شعوباً ومثقفين ، بنماذج النظم السياسية والاقتصادية الأجنبية ، سواء أكانت فردية أو شمولية .

❖ عدم قيام حالة من التآلف بين الفلسفات والنظم المستوردة ، وبين المجتمعات الإسلامية ، في الوقت الذي وجدت حالة من الاغتراب بين المواطن ونظامه السياسي والقانوني ، وهذا ما يفسر حالة الفوضى وعدم الاستقرار والتغيير الأيديولوجي والنظمي المستمر ، داخل تلك المجتمعات .

كان هذا هو حال الفكر الإسلامي فيما يتعلق بالظاهرة الاجتماعية ، ومن ثم فإن البحث في هذه الظاهرة المهمة ، يستوجب الخروج من الأزمة التي انزلق إليها الفكر الإسلامي بوصفه السابق ، والخروج من تلك الأزمة يعني الارتقاء فوق مستوى الواقع وذلك الارتقاء لابد أن يتم على ثلاثة مرتكزات : الإرتقاء بالمفكر ، والارتقاء بالمنهج ، والارتقاء بأدوات التحليل ، والتي سنفصلها فيما يلي :

❖ **الإرتقاء بالمفكر :**

المفكر هو أهم مرتكزات الارتقاء فوق مستوى الواقع ، فالمفكر هو الباحث في الظاهرة الاجتماعية ، والمتحمل لعبء التقاط واستنباط الظاهرة الاجتماعية من مصدري التشريع الإسلامي ، وكذا في الممارسات التي رصدها التاريخ الإسلامي في عهد النبوة الزاهر ، وفي عهد الخلفاء الراشدين وتابعيهم ، قبل أن تخرج تلك الممارسات عن إطار مرجعها الأصولي الذي وُضعت قواعده في عهد النبوة الزاهر .

والمفكر الباحث الذي يؤول على نفسه ، أن يبحث في الظاهرة الاجتماعية وعناصر الوجود الإنساني ، عليه قبل أن يشرع في ذلك البحث ، أن يقوم بعدة عمليات تأهيلية يتمثل أهمها في الآتي :

– على المفكر الباحث في عناصر الوجود وأوجه النشاط البشري ، أن يتجرد من المفاهيم والأحكام المسبقة التي استقرت في ذهنه وضميره ، حول نماذج الممارسات العملية في المجتمعات الأجنبية ، والتي أضفي عليها صفة النموذجية ومسحة المثالية سواء تم إقناعه بهذه الأحكام ، أو توصل إليها ، نتيجة لاتباع منهج بحث خاطئ وأدوات تحليل غير سليمة .

– على المفكر الباحث في عناصر الوجود الإنساني وأوجه النشاط البشري ، أن يتجرد كذلك من المفاهيم والأحكام المسبقة : التي استقرت في ذهنه وضميره ، حول الإسلام كإطار عام وشامل ، يستوعب كافة الظواهر الإنسانية ، ومفاد تلك الأحكام " **أن الإسلام دين وشعائر فقط وليس حياة وشرائع** " .

– على المفكر الباحث في أوجه النشاط الإنساني ، أن يدرب عقله ، ويمرن فكره ، على إمكانية استخدام منهج للبحث ، وأدوات وقواعد للتحليل ، تتفق مع طبيعة الإسلام كإطار عام ، ومرجع نهائي للظاهرة الاجتماعية محل البحث والدراسة .

– على المفكر الباحث في الظاهرة الاجتماعية ، أن يبدي استعداده الروحي والوجداني ، وما يتطلبه ذلك الاستعداد من قوة عقيدة ، واتساع أفق ، ورحابة صدر وقدرة فائقة على البحث ، ومقدرة متميزة ، على تتبع الظاهرة الاجتماعية ، بمعانيها ومضامينها ، التي قد تختلف شكلاً وهيكلاً ، وتتفق مضموناً وجوهراً .

– على المفكر الباحث في الظاهرة الاجتماعية ، أن يتقن ويجيد عمليات الرجوع إلى التفاسير الخاصة بالقرآن الكريم ، قديمها وحديثها وصحاح جوامع الحديث الشريف ، وأمهات

كتب السيرة النبوية ، وسير الصحابة والتابعين ، وكتب التاريخ الإسلامي في عصوره الزاهرة ، التي استخدمت مناهج بحث موضوعية ، وأدوات وقواعد تحليل محايد .

– على المفكر الباحث في عناصر الوجود الإنساني وأوجه النشاط البشري ، في حالة قيامه بتحليل الوقائع والممارسات ، أو الأجهزة والتنظيمات ، خلال فترات حكم بعينها ، أن لا يتعامل مع تلك الوقائع والممارسات ، والأجهزة والتنظيمات ، بليّ عنقها ، واستدعائها إلى عصرنا ، ولكن بالسفر عبر الزمن ، والعودة إليها في عصرها وتحليلها بأدوات تحليل تتواءم مع ذلك العصر ، ولا تغفل العامل الزمني .

❖ **الارتقاء بالمنهج :**

منهج البحث من أهم العوامل التي تساعد المفكر الباحث على القيام بمهمته ، بتفوق واقتدار وكفاءة وفعالية ، ويحتاج البحث في عناصر الوجود الإنساني والظاهرة الاجتماعية إلى مناهج بحث ذات طبيعة خاصة ، ويتمثل أهم تلك المناهج في الآتي :

– مناهج تفسير القرآن الكريم : تتعدد مناهج تفسير القرآن الكريم ، الذي يتوجب على المفكر الباحث الاستعانة بها ، عندما يرجع إلى كتاب الله ، بوصفه المرجع النهائي للبحث في الظاهرة الاجتماعية ، ومن أهم مناهج التفسير :

○ التفسير حسب المعاني الخاصة بظاهر النص ، ويغلب على هذا التفسير اقتصاره على إيضاح المعاني اللغوية للألفاظ والعبارات الواردة في آيات الذكر الحكيم .

○ التفسير حسب أسباب نزول الآيات ، وهذا التفسير يتجاوز إيضاح المعاني اللغوية للألفاظ والعبارات ، إلى أسباب نزول الآيات ، كما ورد في صحيح أحاديث الرسول الكريم ، وروايات كبار الصحابة والتابعين .

○ التفسير الذي يجمع بين المنهجين السابقين ، ويضيف إليهما شروحاً حول ما يتجاوز خصوصية أسباب النزول إلى عمومية المعاني ، وشمول الخطاب ، إلى سائر الحالات الشبيهة وعموم المسلمين .

– صحاح جوامع الحديث الشريف : الرجوع إلى جوامع الحديث الشريف ، واختيار صحاحها ، من المصادر التي يعتمد عليها ويعتد بها كثاني مصدر بعد كتاب الله ، لدراسة وتحليل موقف الإسلام تجاه عناصر الوجود الإنساني وأوجه النشاط البشري .

– كتب السيرة النبوية : الوصول إلى الأفعال ، وتحليل السلوكات والممارسات ، ودراسة التنظيمات والأجهزة ، التي وُجدت في عهد رسول الله الزاهر ، لا يتم إلا من خلال الرجوع إلى أمهات كتب السيرة النبوية ، وهي تمثل مصدراً مهماً من مصادر الإسلام في دراسة الظاهرة الاجتماعية وعناصر الوجود البشري .

– كتب سير الصحابة ، وتاريخ الخلافة الراشدة : كتب سير الصحابة من أهم مصادر استقاء المعلومات حول السلوكات والممارسات ، الخاصة بالتطبيقات العملية للجانب التطبيقي السلوكي في الظاهرة الاجتماعية ، كذلك من أهم الفترات في التاريخ الإسلامي ، التي ازدهرت فيها الأفكار النظرية ، وأينعت الممارسات العملية للنظرية الاجتماعية الإسلامية ، هي فترة الخلافة الراشدة ، ومن ثم فالرجوع إلى تلك الفترة ، ودراسة ما احتوته من أفكار ونظريات ونظم ، بدقة بالغة ، وموضوعية شديدة ، والاطلاع على سير

الصحابة ، واستنباط ما ورد فيها من نماذج وأمثلة ، كل ذلك يعد ضرورة ملحة ، لا بديل عنها للمفكر الباحث في الظاهرة الاجتماعية وعناصر الوجود الإنساني في الإسلام .

❖ **الارتقاء بأدوات التحليل :**

المفكر الباحث في الظاهرة الاجتماعية في الإسلام ، إضافة إلى ما يحتاج إليه من منهج بحث راقي ، يتواءم مع طبيعة الدين الإسلامي الفذة ، يحتاج كذلك إلى أدوات وقواعد تحليل ، قادرة على استنباط جزئيات ودقائق تلك الظاهرة ، من مصادر التشريع والفكر الإسلامي المختلفة ، وتتمثل أهم تلك الأدوات والقواعد في الآتي :

– دقة الملاحظة والصبر والأناة والمثابرة : يحتاج البحث في الظاهرة الاجتماعية في الإسلام ، من المفكر الباحث ، إلى دقة ملاحظة ، وهمة عالية ، وعزيمة قوية ، وصبر وأناة ، حتى لا يصيبه الملل ، أو يأخذ منه الإجهاد ، أو يعتريه التواكل .

– لا اجتهاد مع النص : إذا كان هناك نص من القرآن الكريم ، أو الحديث الصحيح ، عندئذ لا ينبغي أن يكون هناك مجال للاجتهاد ، ويتم اللجوء إلى النص والاكتفاء به لإتمام التحليل ، فحسبنا النص دليلاً .

– الإجماع : يعني الإجماع في مجال البحث في الظاهرة الاجتماعية في الإسلام ، إجماع الآراء المشهود لها بالعلم والاطلاع والاتزان والصلاح ، وثقة الآخرين ، ويكفي اجتماع تلك الآراء حول أمر بعينه ، أو رأي بذاته ، للآخذ به واعتماده .

– في الاستشهاد : عند الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، لا ينبغي فصل الآية عن سياقها ، أو الاستشهاد بصدرها دون عجزها ، أو بعجزها دون صدرها .

– رفض الغريب ، ينبغي عدم اللجوء إلى غريب التفسير ، أو الحديث ، أو الرواية أو التحليل ، حتى ولو كان ذلك الغريب سيحقق هدف البحث ، ويثبت ما يذهب إليه .

– الحالة الخاصة التي يُقصد بها عمومية الخطاب : ينبغي التنبه والالتفات إلى الحالات الخاصة بأسباب نزول الآيات القرآنية ، والتي يُقصد بها عمومية الخطاب إلى كافة المسلمين ، فهذه الحالات دائماً ما تقرر أحكاماً ، وتقرّ توجيهات ، وتنظم ممارسات ، وتضبط سلوكات ، وتضع قواعد وقوانين .

– القياس : القياس في البحث ، يعني سحب الحكم في حالة بعينها ، وإطلاقه على حالة أو حالات أخرى ، مع اشتراط التجانس بين الحالة الأولى والحالات الأخرى ، ولهذه الأداة أو القاعدة أهمية كبيرة في البحث في الظاهرة الاجتماعية في الإسلام .

– في العلاقة بين الخاص والعام : ينبغي التدقيق في الوقائع التي يتم فيها سحب صفات وأحكام الخاص لإطلاقها على العام ، حيث أن هذه العملية تتطلب مهارة من الباحث ، في التقاط أوجه الشبه والتماثل التي عادة ما تخدع الكثيرين ، بما ينعكس على سلامة الأحكام .

– في العلاقة بين الجزء والكل : كذلك ينبغي التدقيق في الوقائع التي يتم فيها الانتقال من الجزء إلى الكل ، كما في القاعدة السابقة .

– ما لم يرد فيه نص : ما لم يرد فيه نص قرآني ، أو حديث صحيح ، أو رواية ثابتة عن التابعين ، أو فكر المفكرين الثقاة ، فيخضع للتحليل الموضوعي المحايد ، الذي يتفق مع الفطر السليمة ، والعقول الراجحة ، والنفوس السوية .

المواءمة هي المحور الثاني من محوري إشكالية الفكر الإسلامي المعاصر ، والمواءمة تعني إيجاد حالة من التلاقي والعناق بين الفكر الإسلامي والواقع المعاصر ، وهذا التفاهم والتناغم بين الفكر الإسلامي والواقع ، ينفي عن ذلك الفكر تهم الانعزالية والجمود والانغلاق ، ويوضح حقيقته المتمثلة في قدرته على التأقلم والتكيف ، ويثبت ما له من خاصية التعامل والتفاعل مع كل زمان ومكان ، وكذلك فذلك التناغم يبرهن على أن الواقع المعاصر لا يمكن أن يستعصي على الفكر الإسلامي ، فيمكن أن يتحول إلى مادة طيّعة قابلة للتشكل والتحوير وفقاً لما جاء في شريعة الإسلام .

❖ الفهم الكلي الشامل للتصور الإسلامي :

تبدأ المواءمة من خلال عملية جذرية تهدف إلى الفهم الكلي الشامل المتكامل للعقائد والقيم والمفاهيم التي يقوم عليها التصور الإسلامي ، ويتم ذلك الفهم من خلال عملية ربط بين التوحيد والفقه ، أي التشريع والمعاملات .

وذلك يعني أن تكون العقائد والقيم والمفاهيم الإسلامية الأساسية ، التي تقوم على مبدأ التوحيد ، هي التي تحكم المعاملات والتنظيم الاجتماعي وتوجههما ، وتقر ضوابطهما القانونية على هذا التفاعل والترابط .

❖ وضع الواقع المعاصر في إطاره الإسلامي :

كذلك تتمثل أهم جزئيات عملية المواءمة في جعل الفكر الإسلامي المعاصر منطلقات إسلامية ، تبدأ من الواقع المعاصر لتضعه في إطاره الإسلامي المناسب ، ويمكن القيام بهذه الجزئية من خلال الآتي :

- مستلزمات التعامل مع الواقع المعاصر : للتعامل مع الواقع المعاصر مستلزمات معينة ، ينبغي على الفكر الإسلامي المعاصر التنبه إليها ، والالتزام بها ، وتتمثل هذه المستلزمات في الآتي :

○ وضوح الرؤية العقائدية : يتطلب وضوح الرؤية العقائدية أن تكون رؤية المفكر واضحة جلية ، غير متداخلة مع رؤى عقائدية أخرى ، منقولة أو موروثة ، كما ينبغي أن يدرك جيداً ماذا يريد من عقيدته ، وما هي القضايا التي يبحث عن معالجة عقيدته لها ، والتأكد من أن تلك الظواهر واقعية ، وذات شأن وتأثير في الواقع المعاصر ، وليست ظواهر وهمية أو هامشية من الصعب ضبطها ، والتثبت من ماهيتها ، كذلك ينبغي أن يمتلك المفكر شفافية وقناعة بأن العقيدة الإسلامية ، من السعة والرحابة بما يمكّنها من استيعاب قضايا العصر ، والتعامل مع الواقع المعاصر .

○ نقاء المعتقدات : كذلك يلزم للتعامل مع الواقع المعاصر ، تنقية الأصول العقيدية من الشوائب والآراء والأفكار التي لحقت بها ، وغلّفتها خلال فترة الجمود الفكري الإسلامي ، كما ينبغي تجريد الأصول العقيدية من التفسيرات والتأويلات الدخيلة ، التي جاءت مع موجات الاستشراق .

○ سلامة الممارسات الإسلامية : كذلك يعد من مستلزمات التعامل مع الواقع سلامة الممارسات الإسلامية ، وضمان سلامة الممارسات الإسلامية ، يتم من خلال الآتي :

□ من خلال دراسة الفترات التاريخية ، التي اتسمت بسلامة الممارسات الإسلامية أو الاستشهاد بتلك الفترات ، مثل عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين .

□ من خلال الدعوة إلى ممارسات إسلامية سليمة ، قائمة على قواعد وأصول ، مستقاة من المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية .

❖ **التعامل مع المستجدات وحقائق الواقع المعاصر :**

لكي نجعل من الفكر الإسلامي المعاصر منطلقات إسلامية ، تبدأ من الواقع المعاصر ، وتضعه في إطاره الإسلامي المناسب ، ينبغي التعامل مع ذلك الواقع ومواجهته بواقعية وموضوعية ، وليس برفض ذلك الواقع أو إنكار وجوده ، ويتم التعامل مع مستجدات وحقائق الواقع المعاصر ، كالآتي :

– التعامل مع الأفكار والفلسفات : الأفكار والفلسفات الاجتماعية المطروحة الآن على أرض الواقع ، تحتاج إلى دراسة مستفيضة ، وتحليل دقيق ، حتى يمكن الوقوف على ماهيتها ، وحتى يسهل بالتالي التوصل إلى صياغة أفكار وثقافات بديلة ، اعتماداً على مصدري الشريعة الإسلامية [القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة] .

– التعامل مع القوانين والتشريعات الموضوعة : أما بالنسبة إلى القوانين والتشريعات الموضوعة ، فينبغي التعامل معها من خلال الرجوع إلى مصادرها وأهدافها ، حتى يمكن صياغة واستنباط المماثل لها ، والذي يمكن أن يقوم بدورها كبديل لها .

– التعامل مع النظم السياسية : وفيما يتعلق بالنظم السياسية ، فالنظم السياسية الكائنة بمعظم الدول الإسلامية ، هي نظم مستوردة ، وهي في أغلبها مزيج من النظم ذات المذهب الفردي ، والأخرى ذات المذهب الشمولي ، وهذه النظم تحتاج إلى مراجعة شاملة ، لتحديد هويتها ومنابعها .

❖ الفكر الإسلامي المعاصر ، وصياغة البدائل :

ثم نصل إلى أهم مراحل المواءمة ، بين الإسلام بشريعته وثقافته وفكره ونظمه ، وبين الواقع المعاصر بكل ما له وما عليه ، وتتبلور هذه المرحلة الحساسة والخطيرة ، في القيام بعملية صياغة شاملة ، لما يأتي :

– صياغة نظرية إسلامية تجاه عناصر الوجود الإنساني وأوجه النشاط البشري : يمكن للفكر الإسلامي المعاصر ، صياغة نظرية اجتماعية إسلامية ، منطلقاً أساساً من هذا الفكر ، فالإسلام من الخصب والعطاء بما يجعل منه نبعاً لا ينضب ، وذخراً لا ينفد ، من الأصول والقيم والمبادئ ، في المجالات المذكورة .

– استنباط القوانين والتشريعات : يدَّعي الكثيرون بأن الإسلام ليس لديه المقدرة على إمداد وتزويد الحياة العصرية باحتياجاتها ، وعناصر كيانها وانتظامها ، من التشريعات والقوانين ، والرد على تلك الدعاوى الداحضة ، لا يتم إلا من خلال تقديم الطرح الإسلامي ، لتنظيم كافة نواحي ومجالات الحياة العصرية .

– تخطيط النظام الإسلامي : لم يضع الإسلام نظاماً محدداً ذاتاً وصفةً ، ولكنه وضع الأصول والقواعد ، وترك لأبناء الأمة تخطيط ذلك النظام ورسمه بما يتواءم مع ظروف المجتمع ، ومتغيرات ومستجدات العصر ، وعليه يجب على المفكرين المسلمين الاجتهاد ، في إرساء قواعد نظام إسلامي ، يستمد عناصره وأساسياته من الإسلام بأصوله وفروعه .

المبحث الثاني

استنباط الأصول والقواعد

من مصادر الإسلام الأساسية المتمثلة في عقيدة التوحيد والشريعة يتم استنباط الأصول والقواعد ، التي تحكم علاقة الإنسان بعناصر الوجود من ناحية ، ثم علاقته بنفسه وبالمجتمع الذي يعيش فيه من ناحية أخرى ، فالعلاقة الأولى يتولد عنها الحضارة والعلاقة الثانية يتولد عنها الثقافة والمعارف الإنسانية والاجتماعية ، ويمكن إيضاح ذلك من خلال الآتي :

أولاً : الأصول والقواعد الخاصة بعناصر الوجود :

يرشدنا الحق تبارك وتعالى إلي جملة الأصول والقواعد الخاصة بعناصر الوجود في كتابه العزيز ، ويحثنا على استنباط تلك الأصول والقواعد في التعامل مع تلك العناصر التي يرتبط بها ويتوقف عليها وجود الإنسان واستمراره في هذه الحياة ، وتكون هذه الأصول والقواعد هي المادة الخام التي تمثل قوام وصلب الطروحات الإسلامية المعرفية حول عناصر الوجود الإنساني ، وتتمثل أهم أصول وقواعد عناصر الوجود الإنساني في الآتي :

❖ التفكر والتدبر في خلق الله :

ينطلق التعامل مع عناصر الوجود الإنساني في هذا الكون من بدايته المنطقية ، وهي التفكر والتدبر في خلق الله وموجوداته التي أوجدها في هذا الكون الفسيح وسخرها بقدرته ، لتكون

بمثابة المقومات والعناصر التي تساهم مشتركة في وجود الإنسان واستمرار حياته على ظهر الأرض .

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن

[1] سورة البقرة : ١٦٤ .
[2] سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١ .
[3] سورة الأعراف : ١٨٥ .
[4] سورة يوسف : ١٠٩ .

قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾).[1]

وقال تعالى (سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ).[2]

وعليه فأول منطلقات التعامل بين الإنسان وبين عناصر الوجود ومخلوقات الله من وجهة نظر الإسلام ، هو التفكر والتدبر في تلك المخلوقات والموجودات ، وذلك أمر إلهي حتى يضع الإنسان يده على أول عناصر وجوده ومبقيات حياته .

❖ الاستئناس بالموجودات لأنها مخلوقات الله :

يعقب مرحلة التفكر والتدبر مرحلة أخرى ، حيث ينبغي على الإنسان أن ينسجم مع تلك المخلوقات والموجودات ويتفاعل معها ، ويصل هذا الانسجام إلى مداه عندما يستفيد الإنسان من تلك الموجودات والمخلوقات ويستغلها لمصلحته دون إساءة أو تبديد ، فكل ما في الكون خلقه الله لهدف وغاية ولم يخلق أي شئ عبثاً .

قال تعالى (قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ).[3]

وقال تعالى (وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ).[4]

[1]. سورة الروم : ٨-٩ .
[2]. سورة فصلت : ٥٣ .
[3]. سورة يونس : ١٠١ .
[4]. سورة الحجر : ٢١ .

وقـــال تعـــالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾.[1]

وقـال تعـالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾.[5]

وقال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾.[6]

وقـــال تعـــالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾.[7]

---

[1]. سورة الحجر : ٨٥ .
[2]. سورة الحج : ٤٦ .
[3]. سورة المؤمنون : ١٧ .
[4]. سورة المؤمنون: ١١٥ .
[5]. سورة ق : ٣٨ .
[6]. سورة القمر : ٤٩ .
[7]. سورة الملك : ٣ .

❖ **جميع المخلوقات مسخرة لخدمة الإنسان :**

خلق الله تعالى الإنسان لعبادته وتوحيده سبحانه ، وخلق كافة موجودات الكون وسخرها له لكي يمكّنه من أداء تلك العبادة ويعينه على ذلك ، والتسخير هذا بمثابة عبادة من كافة المخلوقات لله الواحد القهار .

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[2]

❖ **الاستفادة من الموجودات والتعامل معها [بناء الحضارة] :**

ثم تأتى المرحلة المهمة والحاسمة في علاقة الإنسان بموجودات الكون ومخلوقاته في الكون ، وهي مرحلة التعامل والتفاعل مع تلك المخلوقات والموجودات ، وهدف ذلك التعامل والتفاعل في المعتاد يرمي إلى الاستفادة من محتويات الكون وعناصره ، وتدرجت الحضارات الإنسانية في التعامل مع عناصر الكون ، بغية الاستفادة منها في تحقيق راحة الإنسان وأمنه ، وكان ذلك على النحو التالي :

– التعامل والتفاعل في البَر أو على الأرض ، حيث تم بناء الأبنية الضخمة ودور العبادة ونحت الجبال والمقابر وحفر الآبار للحصول على المياه العذبة وزراعة الأرض .. الخ .

---

[1]. سورة لقمان : ٢٠ .
[2]. سورة الجاثية : ١٣ .

– التعامل والتفاعل في البحر أو على سطح الماء ، وكان ذلك ببناء السدود على الأنهار والقناطر وبناء السفن لنقل الناس وأمتعتهم .

– التعامل والتفاعل في الجو أو في الفضاء ، وقد كان ذلك هو جل اهتمام الحضارات المعاصرة ، حيث شرع الإنسان في اكتشاف عناصر الكون الأخرى وموجوداته في الفضاء .

قال تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾.[5]

وقال تعالى ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.[6]

---

[1] سورة الأعراف : ٧٤ .
[2] سورة الحجر : ٨٢ .
[3] سورة النحل : ٨ .
[4] سورة الإسراء : ٧٠ .
[5] سورة الشعراء : ١٢٩ .
[6] سورة الشعراء : ١٤٧-١٤٩ .

وقـال تعـالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ ﴾.[2]

يـضاف إلى مـا تقـدم مـن أوجـه التعامـل مـع عناصـر وموجـودات الكـون العلـوم الطبيعيـة والتطبيقية حيث أن للحضارة جانبين :

– الجانب الأول : التعامل والتفاعل مع عناصر الكون في شـكل أعمـال تظـل باقيـة خالـدة كآثار دالة على حضارة وتقدم كل أمة .

– الجانب الثاني : الاكتشافات العلمية والاختراعات والابتكارات الفكرية بخصوص الكـون وعناصره مثل علـوم الفلـك والجغرافيـا والتـاريخ والكيميـاء والفيزيـاء والجيولوجيـا والنبـات والبحار وغير ذلك كثير .

قال تعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾.[3]

وقــال تعــالى ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾.[5]

---

[1]. سورة الرحمن : ٣٣ .
[2]. سورة الفجر : ٧-٩ .
[3]. سورة البقرة : ١٥١ .
[4]. سورة البقرة : ٢٣٩ .
[5]. سورة العلق : ٥ .

❖ عدم الإفساد والإسراف في التعامل مع الموجودات :

الترتيب المنطقي الذي وضعه الإسلام للتعامل مع عناصر الوجود الإنساني في الكون الفسيح الذي خلقه الله بحكمته وسخر موجوداته ومخلوقاته بقدرته ، يبدأ من التدبر في آلاء الله وآياته في ذلك الكون ، مروراً ببناء الحضارة أعمالاً وعلوماً ، ثم يضع ما يكفل ويضمن استمرار تلك الأعمال والعلوم والحفاظ عليها والإضافة إليها ، ألا وهو الإيمان بالله وعدم الإفساد في تلك الآيات والآلاء وعدم الإسراف في التعامل معها ، فالإنسان ينبغي له أن يستفيد من موجودات الكون ومخلوقاته دون إفساد أو إسراف وعليه أن يداوم على البحث عن الجديد وعن البدائل لما هو متاح .

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾.[4]

---

[1]. سورة الأعراف : ٩٦ .
[2]. سورة البقرة : ١١ .
[3]. سورة البقرة : ٣٠ .
[4]. سورة البقرة : ٢٠٥ .

وقال تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾.[5]

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.[6]

---

[1]. سورة الأعراف : ٥٦ .
[2]. سورة هود : ١١٦ .
[3]. سورة الروم : ٤١ .
[4]. سورة الأنعام : ١٤١ .
[5]. سورة الأعراف : ٣١ .
[6]. سورة الفرقان : ٦٧ .

❖ شكر الله على نعمائه :

وفي الأخير تدوم نعم الله وتزدهر بشكره وعبادته وطاعته ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾.[1]

ثانياً : الأصول والقواعد الخاصة بالإنسان والمجتمع :

في البند السابق تناولنا الأصول والقواعد الخاصة بعناصر الوجود الإنساني والتي تفضي جميعها إلى قيام الحضارة الإسلامية وازدهارها ، وفي هذا البند نعكف على تناول الأصول والقواعد الخاصة بالطروحات والآراء والرؤى الخاصة بالإنسان والمجتمع وعناصر الوجود وموجودات الكون ، فلقد وضع الإسلام جملة من الأصول والقواعد تهتم بالإنسان والمجتمع البشري في جميع صوره من الفصيلة فالعشيرة فالقبيلة فالقرية ثم المدينة والدولة ثم المجتمع العالمي ، وينتج عن ذلك الاهتمام الثقافة الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، ويمكن تتبع ذلك من خلال الآتي :

❖ تكوين المجتمعات البشرية بجميع صورها :

عمد الإنسان بغريزته إلى الاجتماع والعيش في تكوينات بشرية أخذت صوراً عديدة – كما سبق القول – بدأت بالفصيلة وانتهت بالأمة أو الدولة ، وهذه التكوينات البشرية هي صورة من صور الحضارات الإنسانية .

---

[1]. سورة إبراهيم : ٧ .

❖ العلوم الإنسانية والاجتماعية :

وقد أفرزت تلك المجتمعات البشرية علوماً ومعارف إنسانية واجتماعية خاصة بالإنسان وجميع أوجه نشاطه من سياسية واقتصادية وإدارية .. الخ ، وعُرفت هذه المعارف والطروحات بالثقافة .

❖ مصدر الثقافة الإسلامية عقيدة التوحيد والشريعة :

والثقافة الإسلامية بدورها إن هي إلا رصداً لأوجه النشاط البشري من سياسية واقتصادية وإدارية .. الخ ، ولكنها مستمدة ومستنبطة من عقيدة التوحيد والشريعة الإسلامية .

شكل بياني رقم (١٣) يوضح خطوات استنباط أصول وقواعد تعامل الإنسان مع عناصر الوجود الإنساني والمجتمع وفق المنهج الإسلامي

[إفراز الثقافة وبناء الحضارة]

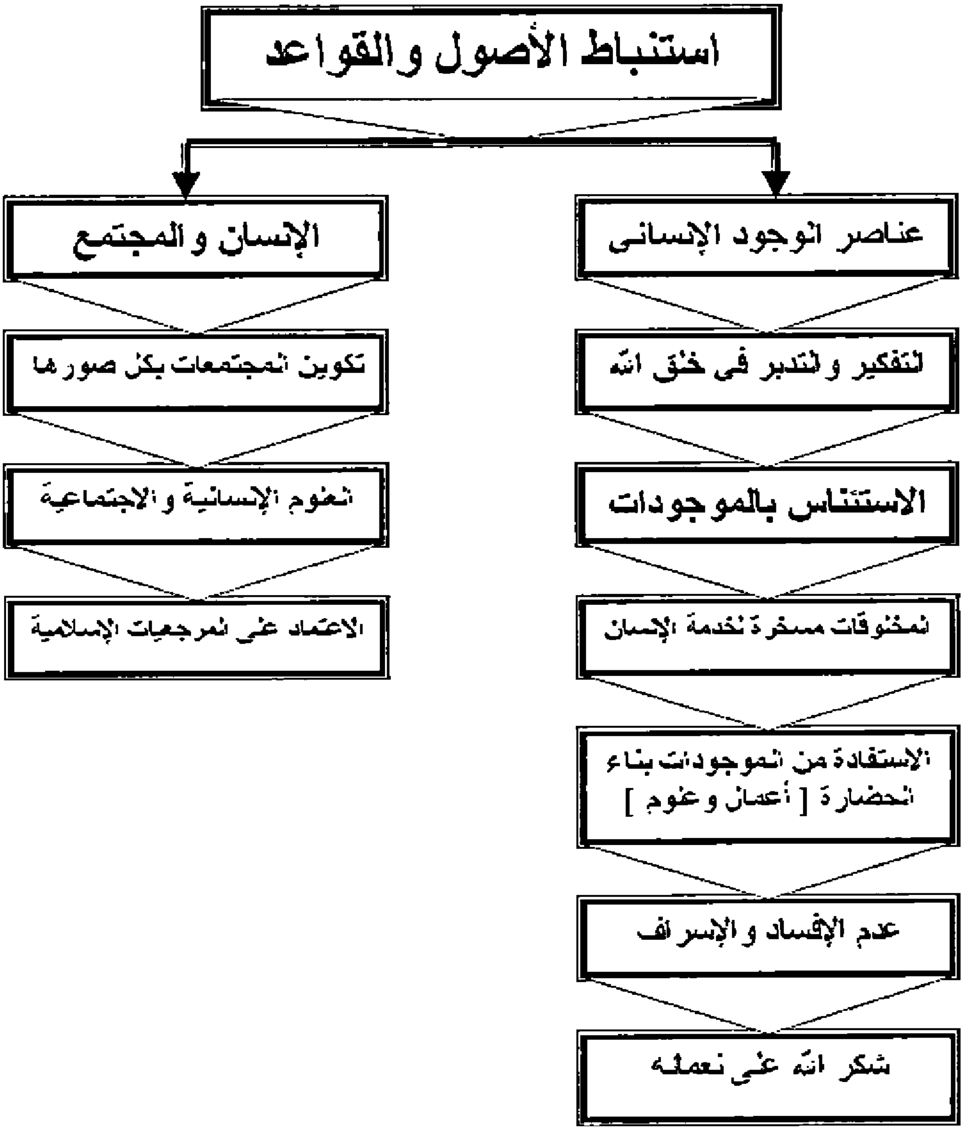

المبحث الثالث

بناء الطروحات المعرفية

قدمنا للأداة الحضارية الهادفة إلى تحقيق الذات الحضارية للإسلام كهدف من أهداف نموذج الإنماء الإسلامي ، بالارتقاء بالفكر والثقافة الإسلامية ، ثم أتبعنا ذلك باستنباط الأصول والقواعد الخاصة بعناصر الوجود الإنساني والتي تولد الحضارة ، كأعمال وعلوم ، وكذا الخاصة بالإنسان والمجتمع والتي تفرز الثقافة والمعارف ، والآن ننتقل إلى المرحلة الثالثة من مراحل تطور الأداة الحضارية في تحقيق أهدافها وهي مرحلة بناء الطروحات المعرفية .

والطروحات المعرفية عبارة عن أبنية فكرية وإسهامات نظرية مذهبية حول عناصر الوجود الإنساني والإنسان والمجتمع ، قوامها وصلبها الأصول والقواعد المستنبطة والمستلة من عقيدة التوحيد والشريعة الإسلامية ، وتُعرف هذه الطروحات بالفكر الإسلامي سواء فيما يتعلق بالحضارة الإسلامية أو الثقافة الإسلامية [١] .

وتعمل الأداة الحضارية التي نحن بصدد تحليلها خلال هذه المرحلة على تطوير وسائل التعامل مع عناصر الوجود الإنساني في كافة المجالات الطبيعية والكونية بما يتواءم مع متغيرات ومستجدات العصر والسمو إلى ما هو أرقى في مجالات الجغرافيا والجيولوجيا والفلك والمياه والبحار والنبات والفضاء .. الخ .

وتنقسم الطروحات المعرفية إزاء عناصر الوجود الإنساني ومفردات الكون إلى :

---

[١] للاستزادة والتفصيل يمكن الرجوع إلي : كتاب الاستهلال ، منهج الطرح الإسلامي .

أولاً : طروحات نظرية وإسهامات فكرية في المجالات المذكورة .

ثانياً : تطبيقات عملية تنقل التنظيرات إلى واقع عملي .

وعلى الجانب الآخر تعمل الأداة الحضارية فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع على تطوير أساليب ومناهج تناول النشاط الإنساني بما يتواءم كذلك مع الواقع المعاصر واستناداً إلى الأصول والقواعد المستنبطة من المصادر والمنابع الأصلية المتمثلة في عقيدة التوحيد والشريعة ، ومن ثم تصدر الطروحات الفكرية فيما يتعلق بالنشاط السياسي والاقتصادي والإداري جامعة بين أصالة المصدر والمنبع ومعاصرة الأداء والتحليل .

وهكذا تساهم الأداة الحضارية بصفتها إحدى أدوات نموذج الإسلام في الإنماء في إحياء وتطوير الإسهام الإسلامي في الحضارة الإنسانية والثقافة العالمية من خلال بناء طروحات معرفية ، تعيد للإسلام سالف عهده من العطاء والفيض ، وتصل ما انقطع من الإسهام المجدي لذلك الدين القيم ، وتلتقي جميعها فيما يعرف بالفكر والثقافة الإسلامية .

شكل بياني رقم (١٤) يوضح عملية بناء الطروحات المعرفية

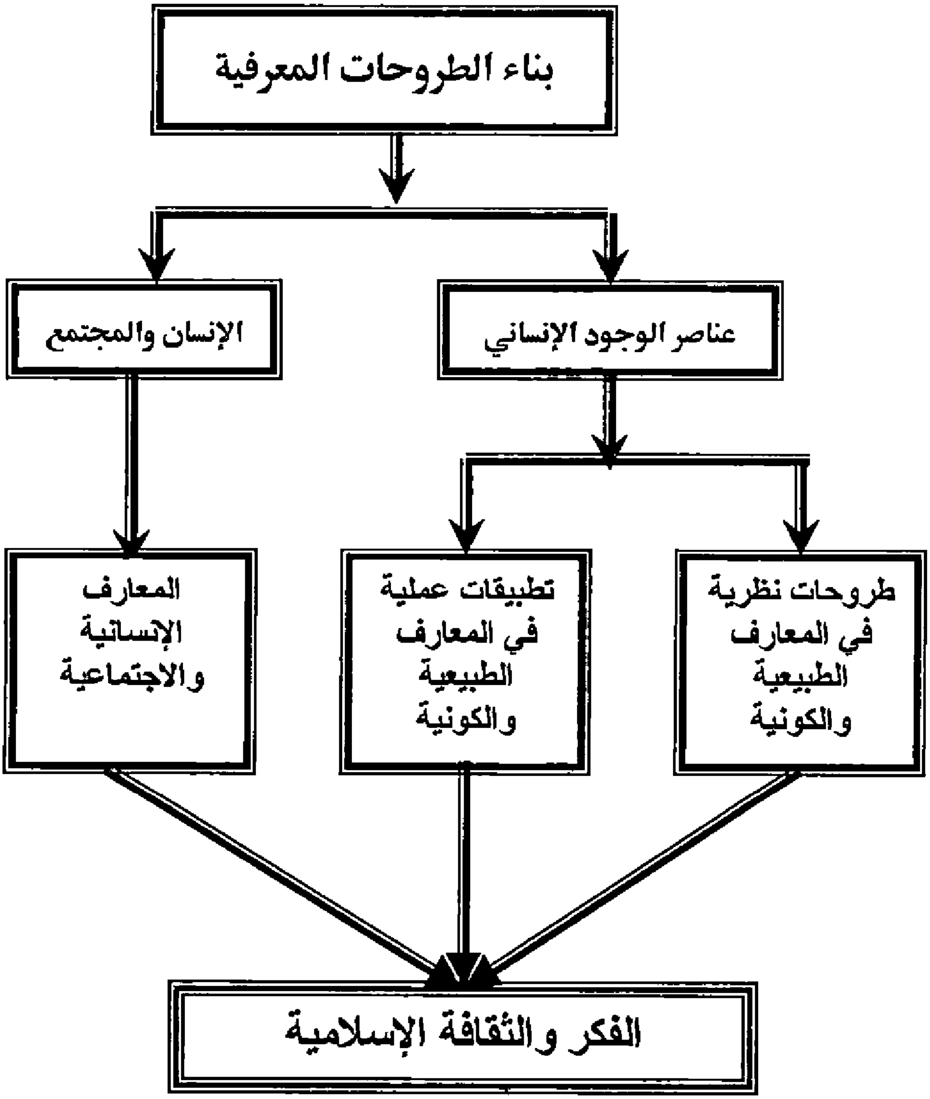

المبحث الرابع

صياغة الأنظمة والقوانين

من الطروحات المعرفية التي تم التوصل إليها كنتيجة للمرحلة سالفة التبيان تواصل الأداة الحضارية التدرج في منطلقاتها المتتابعة ، حيث تعمد إلى صياغة الأنظمة والقوانين من الطروحات المعرفية ، وتختلف تلك الأنظمة والقوانين وتختلف كذلك مدلولاتها حسب المجال والموضوع وذلك كما يلي :

أولاً : في مجال عناصر الوجود الإنساني :

الأنظمة والقوانين في مجال عناصر الوجود الإنساني هي التطبيقات العملية والأعمال في مجال الطبيعة والكون ، وهذه التطبيقات والأعمال قد تكون إنشاءات هندسية أو مدنيات عمرانية أو استغلال لعناصر الطبيعة مثل استغلال الطاقة الشمسية أو قوة الرياح والمياه أو استغلال قوة اندفاع المياه الجوفية الحارة .. الخ .

ولعل المتابع لتاريخ الحضارة الإسلامية ليكشف بسهولة كم كان المسلمون تواقين إلى الإنجاز في هذه الميادين ، وكم من أعمال ابتكروها وتركوها للإنسانية جمعاء ، وكم كانوا بارعين في دمج تلك الإنجازات الحضارية العظيمة بالنزعة الدينية والوازع الإيماني ، فكل تلك الاكتشافات والابتكارات كانت شهود عيان تنطق بقدرة الله في الكون وطلاقتها في الخلق .

وينبغي على أبناء الأمة الإسلامية أن يواصلوا السير في ذلك الركب العظيم ، ركب الحضارة والإبداع ، فإذا كان قد توقف ، فقد توقف للتحفز والاستعداد ، وعليه أن يبدأ من جديد أصيل المنبع والمصدر معاصر التناول والمعالجة .

ثانياً : في مجال الإنسان والمجتمع :

أما في مجال الإنسان والمجتمع ، فإن الأنظمة والقوانين تعنى تلك المستخلصة من الطروحات الإنسانية والاجتماعية لتطبيقها على نواحي الحياة الاجتماعية المختلفة في شكل نماذج للحركة والممارسة ، فمثلاً في الناحية السياسية هناك المنهاج الإسلامي ، وفي الناحية الاقتصادية هناك النظام الاقتصادي الإسلامي ، وفي الناحية الإدارية هناك نموذج الإسلام في الإدارة العامة والمحلية .. وهكذا .

وكما يواصل ركب الحضارة الإسلامية مسيره ، يواصل بصحبته ركب الثقافة الإسلامية مسيره ، معلناً عن أن المجتمع المعاصر يمكن أن تمتد إليه يد الإسلام الحانية ، لتنقذه مما تردى إليه من مهاوي الرذيلة إلى معارج الفضيلة عبر المنهاج الإسلامي العظيم .

شكل بياني رقم (١٥) يوضح مراحل صياغة الأنظمة والقوانين

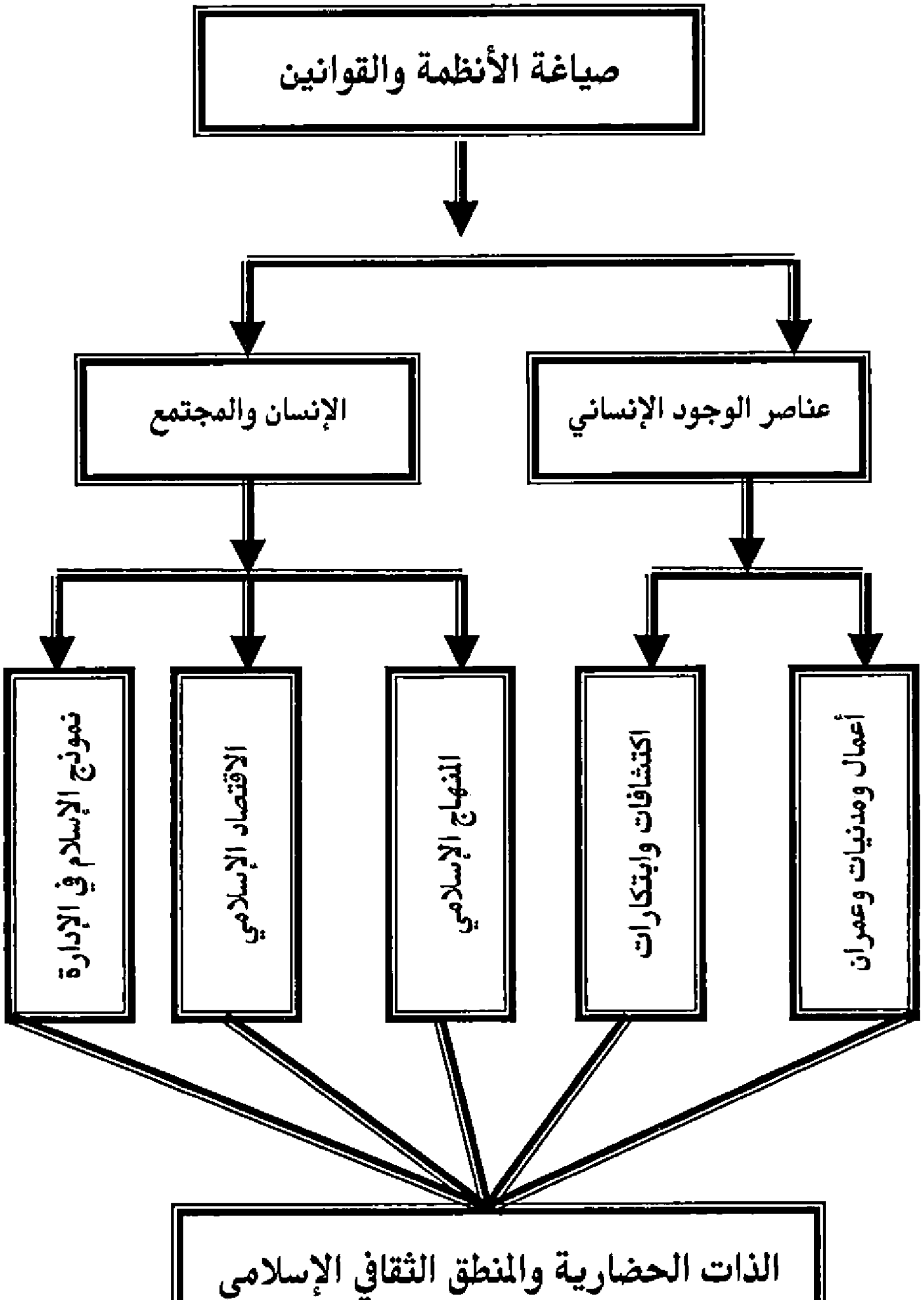

المبحث الخامس

الإعلام والإخبار

ثم تأتي مرحلة الانطلاق إلى الآفاق الإنسانية الرحبة وتجاوز المحلية إلى العالمية ، حيث ينطلق الفكر الإسلامي متمثلاً في الثقافة والحضارة متخطياً الحدود الضيقة معبراً عن منطقه الثقافي ومعلناً عن ذاته الحضارية ، ومنتشراً في كل بقاع الأرض يتهادى إلى العقول والنهى ويزف إلى الأفئدة والقلوب ، عقول كل الناس وقلوب جميع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، وعندئذ وفي هذه المرحلة الحاسمة يحدث ما يلي :

أولاً : الاتصال والتواصل :

في هذه المرحلة المبدئية تستطيع الدول الإسلامية عبر وظيفتها الاتصالية ومن خلال دبلوماسيتها المستنيرة أن تنقل الثقافة والفكر الإسلامي من النطاق المحلي إلى النطاق الخارجي العالمي ، وهنا يتأكد للجميع أن الإسلام دين ودنيا ، روح ومادة ، عبادة وعمل ، شعيرة وشريعة ، إنساني السمة ، عالي النزعة ، وعندما يصل الخطاب الإسلامي الحضاري إلى عقول وقلوب البشر يكون رد الفعل على قدر الحدث ، وحسب خصوبة لُب المتلقي ودماثة ورهافة حسه وإنصاف منطقه .

ثانياً : التحاور :

إذا صادفت الثقافة والفكر الإسلامي منطقاً رفيعاً سامياً ، وعقلاً حصيفاً ، وفكراً رشيداً ، فلابد من حدوث حوار ، يسوده منطق الأخذ والرد والقبول والرفض ، وذلك لا يكون إلا

بين الحضارات ، فالحضارات لا تتصارع كما يدَّعي المتكلمون والمتفلسفون المعاصرون ، فكيف للحضارات أن تتصارع وتتنافس وهي تدعو إلى قيم سامية ومبادئ رفيعة ومُثل فاضلة ! فأية منظومة فكرية ثقافية يمكن أن تتسم بالعدوانية ، وتنشد الصراع ، وتتوق إلى التناطح ، وتتنافر بطبيعتها مع غيرها ، فهي بمثابة طروحات ورؤى ، ولا تعدو كونها وجهات نظر منطلقة ومنبعثة من تراكمات معرفية تفرز أحكاماً ذاتية ، تبدو بجلاء عند تفسير ظواهر الكون والمجتمع ثم تظهر مرة أخري عند صياغة الأصول والقواعد والأطر الفكرية التي تستهدف ترتيب وتنظيم شئون الحياة ، ثم تبدو مرة أخيرة عند تشكيل نماذج وأدوات الحركة التي تتولي وضع الأصول والقواعد والأطر الفكرية علي أرض الواقع في شكل نماذج وأدوات للحركة ، علي مدى هذه المراحل والتطورات لا بد أن يحدث التنافر والتعارض والتنافس والصراع ، لأن كل منظومة ثقافية فكرية تملك توجهاً خاصاً بها ونادراً ما تلتقي أو تتعانق تلك التوجهات ، وهكذا يكون الصراع صراع ثقافات وأفكار وليس صراع حضارات ، وبالرغم من أن الحضارات تمثل الثقافات وتعد إفرازاً لها ، إلا أن الصراع يظل قائماً بين الثقافات والأفكار أولاً ، ثم ينتقل إلي الحضارات في مرحلة تالية ، ولا يعد صراع الحضارات إحدى حتميات الوجود والتفاعلات الإنسانية ، فقد يحدث وقد لا يحدث ، علي عكس الحال بالنسبة للثقافات والأفكار التي هي في صراع شبه دائم والتلاقي بينها هو الاستثناء .

ثالثاً : التفاعل :

مرحلة التحاور بين الحضارات تمهد لمرحلة التفاعل ، وخلال مرحلة التفاعل تتم عملية البحث عن مواطن التلاقي ومحاور العناق الحضاري ، وهذا البحث يتم عبر سنوات طويلة

، حيث تتحسس كل حضارة مواطن الضعف والقوة في الحضارة الأخرى ، ثم تستأنس مواطن التلاقي ومحاور العناق .

رابعاً : التلاقي :

بعد عملية البحث عن مواطن التلاقي ومحاور العناق ، تلتقي الحضارات وتتعانق مع بعضها ، وهذا التلاقي والعناق لا يمكن إلا أن يكون جزئياً ، فالعناق والتلاقي إذا كان كلياً سيقود إلى حالة من الذوبان وتلاشي الكيانات الحضارية وظهور كيان حضاري جديد ذي مواصفات مميزة ، وهذا لا يحدث ولم يحدث من قبل إذ أن صفة التميز وخصية الاستقلالية من أهم ما يميز الحضارات الإنسانية .

أما عملية التلاقي الجزئي فهي المعتادة والمتعارف عليها بين الحضارات ، وهذا التلاقي الجزئي بين الحضارات قد يأخذ أحد شكلين على النحو التالي :

❖ التشابه والتماثل في بعض المفردات والمكونات الحضارية :

والتشابه أو التماثل الذي يحدث بين الحضارات قد يأخذ صورة من الصور التالية :

- التشابه والتماثل في بعض القيم والمُثل والمبادئ .
- التشابه والتماثل في بعض الإنجازات والإسهامات والطروحات .
- ائتشابه والتماثل في بعض أدوات التعامل مع عناصر الوجود الإنساني .
- التشابه والتماثل في بعض الأهداف والغايات .

❖ الإعجاب والرغبة في المحاكاة :

إضافة إلى ما تقدم فقد تنفرد حضارة من الحضارات بمواطن تفرد وتميز تثير إعجاب الحضارات الأخرى وتحرك لديها الرغبة في المحاكاة والتقليد والنقل ، والمثال الواضح على التشابه والتماثل بين الحضارات هو اهتمام كل من الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية بتطوير وإحداث أدوات التعامل مع عناصر الوجود الإنساني والتي أفرزت العلوم التطبيقية والتقنيات الحالية ، ولكن الفارق بين الحضارتين أن الحضارة الإسلامية تنظر إلى ذلك التعامل والتفاعل مع عناصر الوجود الإنساني على أنه عبادة ودليل على قدرة الله الواحد الأحد في الكون ، في حين تنظر الحضارة الغربية إلى ذلك التعامل وإفرازاته على أنه غاية وهدف مطلق في حد ذاته .

والمثال البيّن على الإعجاب والرغبة في المحاكاة ما حدث خلال العصور الوسطي في أوربا ، حينما كانت تعيش في عصور عُرفت بعصور الظلام ، وكانت الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها وازدهارها ، ونظر الأوربيون للحضارة الإسلامية نظرة إعجاب وانبهار ، وعمدوا إلى نقل الكثير من المعارف الإسلامية ، ثم بنوا عليها صروح حضارتهم في العلوم الطبيعية والكونية .

خامساً : التنافر والصراع :

يشيع في هذه الأيام ما يُعرف بصراع الحضارات ، وهو مفهوم خاطئ يقصد به مروجوه أن الحضارات تتصارع وتتصادم عندما تتنافر في قيمها ومبادئها ، ويبدو التناقض واضحاً بين أوصال هذا المدرك وعلى افتراضاته الأولية ، فالمبادئ والقيم لا يمكن أن تتناقض أو تتنافر ، والحضارات لا ترتكن إلا على القيم والمبادئ العامة والمطلقة ، أما الأفكار فهي التي

تتصارع وتتناطح لأنها تعبير عن رغبات بشرية لا تخلو من النقص والذلل ، فمن المتصور أن يحدث تنافر يؤدي إلى صراع وصدام بين حضارة بعينها مثل الحضارة الإسلامية ، وبين أفكار بعينها مثل الأفكار الماركسية أو الأفكار الرأسمالية ، أو بين المنظومتين الأخيرتين من الأفكار[1] .

هكذا تكون الأداة الحضارية عندما تهدف إلى تحقيق الذات الحضارية والمنطق الثقافي للإسلام كإحدى أدوات نموذج الإسلام في الإنماء .

---

[1]. للتفصيل يمكن الرجوع إلى : المجلد الرابع : الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) ، الجزء السابع : الخصائص .. التطور .. العلاقات ، والجزء الثامن : الحضارة الإسلامية في المعترك .

شكل بياني رقم (١٦) يوضح تدرج مراحل عملية الإعلام والإخبار

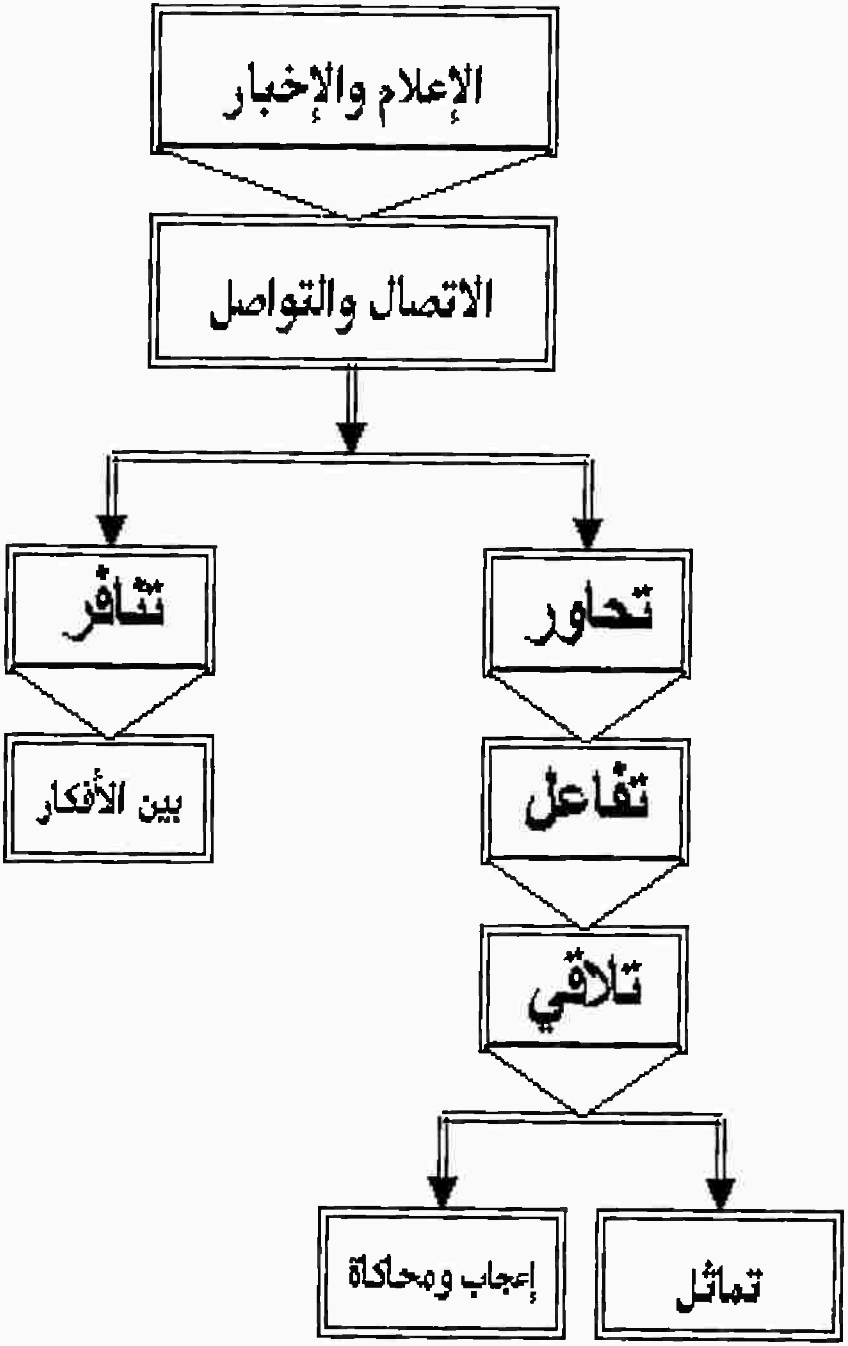

الفصل الثاني

الأداة الاقتصادية المادية

الأداة الاقتصادية المادية هي الأداة الثانية من أدوات نموذج الإنماء الإسلامي لتحقيق أهدافه ، وتحديداً هدفه المتعلق ببناء الشق المادي من حياة الفرد المسلم ، الأداة الاقتصادية — كما سبق التبيان — تنصرف إلى إشباع احتياجات الإنسان وتلبية متطلباته ، وقد تكون هذه الاحتياجات والمتطلبات في شكل سلع ومنتجات وقد تكون في شكل خدمات .

وهذه الأداة تعتبرها نماذج الإنماء الاقتصادية التي أفرزها الفكر البشري الأداة الأساسية وربما الوحيدة التي تعتمد عليها تلك النماذج في تحقيق أهدافها ، ومرد ذلك أن تلك النماذج لا ترمي إلى إحراز أهداف أخرى بخلاف الهدف الاقتصادي المتمثل في إشباع متطلبات واحتياجات الإنسان من السلع والخدمات ، وذلك على خلاف الحال بالنسبة إلى نموذج الإنماء الإسلامي الذي يهدف إلى تحقيق أهداف حضارية وروحية بالإضافة إلى الهدف الاقتصادي المادي .

ويتفرع عن الأداة الاقتصادية المادية ثلاثة آليات تتضافر من أجل القيام بمهام هذه الأداة ، وتتمثل الآلية الأولى في تنظيم الإسلام للملكية والذي سبق تناوله أثناء الحديث عن الاقتصاد الإسلامي ، وذلك التنظيم يساعد على إنماء المقدرات الاقتصادية المادية للمجتمع من خلال إنماء المتاح من الموارد وإضافة الجديد ، ويتمتع الإسلام بتميز تنظيمه للملكية ، ومن شأن ذلك التميز أن يقود إلى ما سبق وقدمناه من تنامي ذاتي متواصل .

أما الآلية الثانية فتتجسد في مفهوم الإسلام لكل من العمل والإنتاج ، فالإسلام يتعامل مع العمل والإنتاج بأسلوب يقود إلى الإنماء الاقتصادي والمادي في دخل الفرد ودخل المجتمع في النهاية ، فالعمل من وجهة النظر الإسلامية يعتبر أهم عناصر الإنتاج حيث يهدف إلى تحويل كافة أفراد المجتمع القادرين على العمل إلى طاقة منتجة ، كذلك يجعل الإسلام من الإنتاج بالأساس أداة لإشباع حاجات ومتطلبات أفراد المجتمع أجمعين ، وليس لإشباع

حاجات ومتطلبات من يملكون القدرة على الشراء ، ومن ثم ينفرد الإسلام بمفاهيمه الخاصة تجاه العمل والإنتاج .

ثم تأتي الآلية الأخيرة متشكلة في دعوة الإسلام وسعيه الدائب نحو بناء قاعدة تقنية أساسية في كل دولة إسلامية تكون منطلقاً نحو الابتكار والتطوير ، ومن شأن هذه القاعدة التقنية أن تدعم بشكل عضوي الآليتين الأولى والثانية ، ولا يخفى ارتباط الآلية الأخيرة بالأداة الحضارية التي سبق تفصيلها في الفصل السابق من هذا الباب .

ويأتي هذا الفصل في ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : تنظيم الإسلام للملكية .

المبحث الثاني : العمل والإنتاج .

المبحث الثالث : بناء قاعدة تقنية .

المبحث الأول

تنظيم الإسلام للملكية

سبق أن أوضحنا في الجزء الأول من هذا المؤلف كيف أن الإسلام قسم الملكية إلى ثلاثة أقسام : قسم تملكه الدولة ويسمى ملكية الدولة أو القطاع الحكومي ، وقسم آخر تملكه الجماعة أو المجتمع ملكية عامة ويُعرف بالملكية الجماعية أو القطاع العام ، وتُشرف عليه أيضاً الدولة ، وقسم أخير يملكه الأفراد ويُعرف بالقطاع الخاص ، وهذا التنظيم الذي وضعه الإسلام للملكية يؤدي في ذاته إلى تنامي متواصل يمكن إيضاحه وتفصيله من خلال الآتي :

أولاً : اكتساب الملكية يحقق الإنماء الاقتصادي والمادي :

سبق أن أوضحنا أن الملكية الفردية لا يتم حيازتها واكتسابها إلا من خلال العمل والجهد ، حيث يعتبر هو السبب الأساسي والجوهري للحيازة والتملك في الاقتصاد الإسلامي ، فالعمل والجهد الذي يبذله الفرد يُدخل الحياة ثم النماء على مرفق أو مورد تنقصهما هاتان الصفتان ، ويتحقق بذلك إضافة إلى رأس مال المجتمع وثروته .

ومن ثم يكون نشوء أية ملكية فردية في ظل الاقتصاد الإسلامي مقترناً لا محالة بزيادة في ثروة المجتمع ورأس ماله ، ثم في دخله الإجمالي ، إذن فثمة علاقة بين متغيرات ثلاث : المتغير الأول ، نشوء الملكية الفردية الذي تولد نتيجة العمل والجهد ، المتغير الثاني ، تحقيق عمارة على ظهر الأرض ، والعمارة تعني كل إضافة إلى الموارد المتاحة وثروة المجتمع ، المتغير الثالث ، تحقيق الإنماء الاقتصادي والمادي كناتج نهائي للمتغيرين الأول والثاني ، من هذا الترتيب المنطقي تبلور الطرح الإسلامي المتعلق بتنظيم الملكية .

انتقل التنظيم الخاص بالملكية من طوره النظري إلى سياسة اتبعتها الدولة الإسلامية لتحقيق الإنماء الاقتصادي والمادي ، وقد عُرفت تلك السياسة باسم " إحياء الموات " وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من وضع هذه السياسة موضع التطبيق ، فقد كانت الدولة الإسلامية الأولى " تواجه وضعاً كان تنظيم الملكية فيه مختلاً لصالح الملكية العامة "[1] ، ونتج عن ذلك تعطيل للموارد لعدم قدرة الدولة على استغلال ما تحت يدها من موارد ، وكانت الأرض في ذلك الوقت هي أهم الموارد وأكثرها تأثيراً في رأس مال المجتمع وثروته .

إزاء هذه الوضعية عمد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى تطبيق سياسة " إحياء الموات " لإنشاء الملكية الفردية وما يصاحبها من تحقيق للإنماء الاقتصادي والمادي الذي يضيف إلى ثروة المجتمع ورأس ماله ، واتخذ تطبيق تلك السياسة الإجراءات التالية :

- ❖ من أحيا أرضاً ميتة فهي له :

المبدأ الأول الذي عمد الرسول الكريم إلى تطبيقه لإنجاز سياسة إحياء الموات ، وبالتالي نشر العمارة والنماء تمثل في حديثه الشريف حيث قال :" من أحيا أرضاً ميتة فهي له " ، والإحياء يعني نقل الأرض من حالة عدم القدرة على الإنتاج إلى حالة تكون فيها منتجة ، ومن يتمكن من القيام بذلك ، أي يحيى الأرض ويُدخلها إلى حلبة الإنتاج ، يصبح من حقه تملك تلك الأرض وحيازتها .

---

[1] د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

❖ **الجزاء المادي مقترن بحافز معنوي [الثواب] :**

أضاف الرسول الكريم إلى الجزاء المادي على إحياء الأرض والمتمثل في تملكها حافزاً آخر تجسد في الثواب الأخروي من الله عز وجل لقاء القيام بهذا الإحياء ، فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف : " من أحيا أرضاً ميتة فله بذلك أجر " ، وبذلك الحديث يترتب على إحياء الأرض أجران الأول : في الجزاء المادي المتمثل في تملك الأرض المنتجة ، والثاني : المتمثل في الثواب من الله عز وجل الذي يعتبر أن عمل الفرد المسلم من قبيل العبادة والقربى إليه سبحانه .

إن الطرح الاقتصادي الإسلامي لم يجعل من الملكية الخاصة هدفاً في ذاته ، وإنما جعل منها وسيلة لغاية ، وهي تحقيق الإنماء الاقتصادي وزيادة ثروة المجتمع وإنماء موارده ورأس ماله .

❖ **إقطاع القادرين على العمل والإعمار :**

ينتقل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الإقرار بالقول إلى إرساء الفعل والسلوك حيث يمارس إقطاع الأرض لمن رأى فيهم القدرة على العمل والإعمار ، ومن ثم فهذا بمثابة تكليف مباشر من المشرّع الثاني بعد الحق تبارك وتعالى بالعمل والإعمار ، وقد رتب الرسول الكريم جزاءاً على المتخاذل أو المتهاون في العمل والإعمار ، حيث قرر محاسبة الفرد الذي أُقطع الأرض بعد ثلاث سنوات ، فإذا أحيا الأرض فهي له ، وله كذلك حسن ثواب الآخرة ، وإذا عجز عن ذلك فيُعان بإمداده بالمال أو أدوات الفلاحة والزراعة ، أو تنزع الأرض من يده ، وتُعطى لمن يقدر على إحيائها وإدخالها حلبة الإنتاج .

وهنا تتجلى عدة أمور تعد مهمة في الطرح الاقتصادي الإسلامي ، منها :

- إن الدولة الإسلامية ينبغي أن تبذل الجهد الإيجابي ، وتملك زمام المبادرة ، حيث توفر لمواطنيها فرصة المشاركة في الإنماء ، وبذل العمل والجهد ، والحث على التملك ، ترغيباً لهم ومخاطبة لغريزة حب التملك لديهم .

- إن الدولة بقيامها بتلك المبادرة تمارس دورها المفروض عليها شرعاً ، والمتمثل في قيامها بعمارة الأرض وزيادة ثروة المجتمع وإنماء موارده .

- " إن الدولة ينبغي أن تترفق لتحقيق واجب عمارة الأرض باختيار ذوي المواهب في التعمير ، فلا تنتظر أن يقدموا أنفسهم ، بل تختارهم كأنها تكرمهم ، وتعرف لهم قيمة مواهبهم ، ثم تضعهم أمام مسئولية محددة يحاسبون عليها بعد فترة " .[1]

❖ **الاحتفاظ بملكية الأرض رهن بالحفاظ على حياتها :**

إذا كان إعمار الأرض وإحياؤها بإدخالها إلى حلبة الإنتاج مبرراً لتملكها ، فماذا لو خرجت الأرض من حلبة الإنتاج وعادت إلى حالة الموات مرة أخرى ، وهي لن تعود إلى حالة الموات إلا إذا تقاعس مالكها عن الحفاظ عليها في حالة الحياة ، وتقاعس مالك الأرض عن الحفاظ على حياة أرضه مبرراً كذلك لإسقاط ملكيته لها ، لأن في ذلك إهداراً لمورد من موارد المجتمع وحقاً من حقوقه ، كما أن الجزاء من جنس العمل ، فمن عمل يُكافأ ومن تقاعس يُعاقب .

---

[1]. المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

❖ ما ينطبق على الأرض ينطبق على كافة موارد المجتمع ومصادر ثروته :

اتضح مما سبق كيف أصبحت الملكية أداة من أدوات الإنماء الاقتصادي والمادي ، وما سبق كمثال يتعلق بالأرض ، وما ينطبق على الأرض ينطبق على كافة موارد المجتمع ومصادر ثروته ، وإنما ذُكر مَثل الأرض تحديداً لأن الأرض كانت في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هي المصدر الأساسي للثروة ، أما في عصرنا الراهن ، وقد تعددت أشكال وصور مصادر الثروة في المجتمع ، فينبغي تطبيق نفس السياسة وهي تشجيع ملكية المشاريع والوحدات الإنتاجية عن طريق تشجيع العمل ومساعدة الأفراد بمنحهم عناصر ومقومات إقامة المشاريع والوحدات الإنتاجية .

ثانياً : وجود الملكية العامة يحقق الإنماء الاقتصادي والمادي :

إذا كان الإسلام يسمح بوجود الملكية الخاصة جنباً إلى جنب مع الملكية العامة ، فهو لا يسمح بذلك للوجود في حد ذاته ، وإنما يهدف من وراء ذلك إلى أن تساهم كل من الملكيتين في الإنماء بدور خاص بهما يتواءم مع طبيعتهما وحجميهما .

❖ الملكية العامة تفرض على الدولة المشاركة في عمليات الإنماء :

إن قيام الملكية العامة تحت إشراف الدولة ، وكذلك قيام ملكية الدولة منفردة ، تفرض على الدولة أن يكون لها دور في الإنماء الاقتصادي والمادي من خلال إدارة الملكية العامة أو بتمكين الأفراد من إدارتها وإنمائها .

❖ **توزيع الأدوار بين الملكية العامة والملكية الخاصة :**

للملكية العامة دور مهم في الإنماء الاقتصادي والمادي تستمده من ضخامة الموارد التي تتكون منها ، ومن شأن هذه الضخامة أن توضح الدور الفعال للملكية العامة في تحقيق الإنماء الاقتصادي ، حيث أن سيطرة الملكية الفردية على هذه الموارد غير محقق لمصالح المجتمع ، ولهذا كان وجودها في إطار الملكية العامة هو الكفيل بتوجيه طاقاتها لصالح المجتمع ، وهكذا تؤدي الملكية العامة دوراً لا يمكن للملكية الخاصة أن تضطلع به وتحقق للجماعة مصالح تعجز عن تحقيقها الملكية الخاصة ، وعليه فازدواجية الملكية في الإسلام يحقق مزجاً بين أداتين متساندتين تُوزع بينهما الأدوار الإنمائية حسب طاقة وإمكانية كل منهما .

ثالثاً : نشر نطاق الملكية الخاصة يحقق الإنماء الاقتصادي والمادي :

إذا كانت الملكية الخاصة — كما سبق الإيضاح — تؤدي إلى تحقيق الإنماء الاقتصادي فإن الاقتصاد الإسلامي يعمد إلى نشر الملكية الخاصة لاقترانها بالإنماء ، فهو لا يضع حداً للملكية ، فإذا قُدّر للمجتمع المسلم تحقيق نطاق الغني لكافة أفراده ، فهو عندئذ لا يصادر حق أفراده في التملك ، ولا يضع حدوداً على الملكية ، حيث يدع الفرصة لإظهار المواهب وتنمية القدرات ، ومعنى ما تقدم أن الملكية مقيدة بنطاق الغني .[1]

كذلك يراعى الإسلام فيما يتعلق بحدود الملكية قدرة الشخص على العمارة والاستغلال " فلا يبيح الإسلام للفرد أن يتملك ما تعجز قدراته عن عمارته ، وإبقائه في حلبة الإنتاج ، ذلك أن تجاوز الملكية الفردية لهذا الحد فيه عدوان على السبب الذي شرعت من أجله في

[1] الجزء الأول ، الباب الأول ، الفصل الثاني ، المبحث الثالث من هذا المجلد .

الإسلام ، وهو تحقيق الإنماء الاقتصادي ، فتملك الفرد لما لا يقدر على عمارته فيه تعطيل لموارد لا ينبغي أن تتعطل " .[1]

رابعاً : استخدام نتاج الملكية في تمويل عمليات الإنماء : [إحالة] :

يمثل نتاج الملكية العامة في الإسلام أهم الإيرادات العامة في الدولة التي تخصص للإنفاق على عمليات الإنماء الاقتصادي المادي ، كذلك يوجه الفائض الاقتصادي الناتج عن الملكية الخاصة – مملوكاً لأصحابه – إلى كل ميدان يرى الأفراد ضرورة توجيهه إليه لتحقيق الإنماء الاقتصادي ، ونحيل في تفصيل ذلك إلى الباب الرابع من هذا الجزء .

---

[1] د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

شكل بياني رقم (١٧) يوضح كيف يحقق تنظيم الإسلام للملكية

الشق المادي من نموذج الإنماء الإسلامي

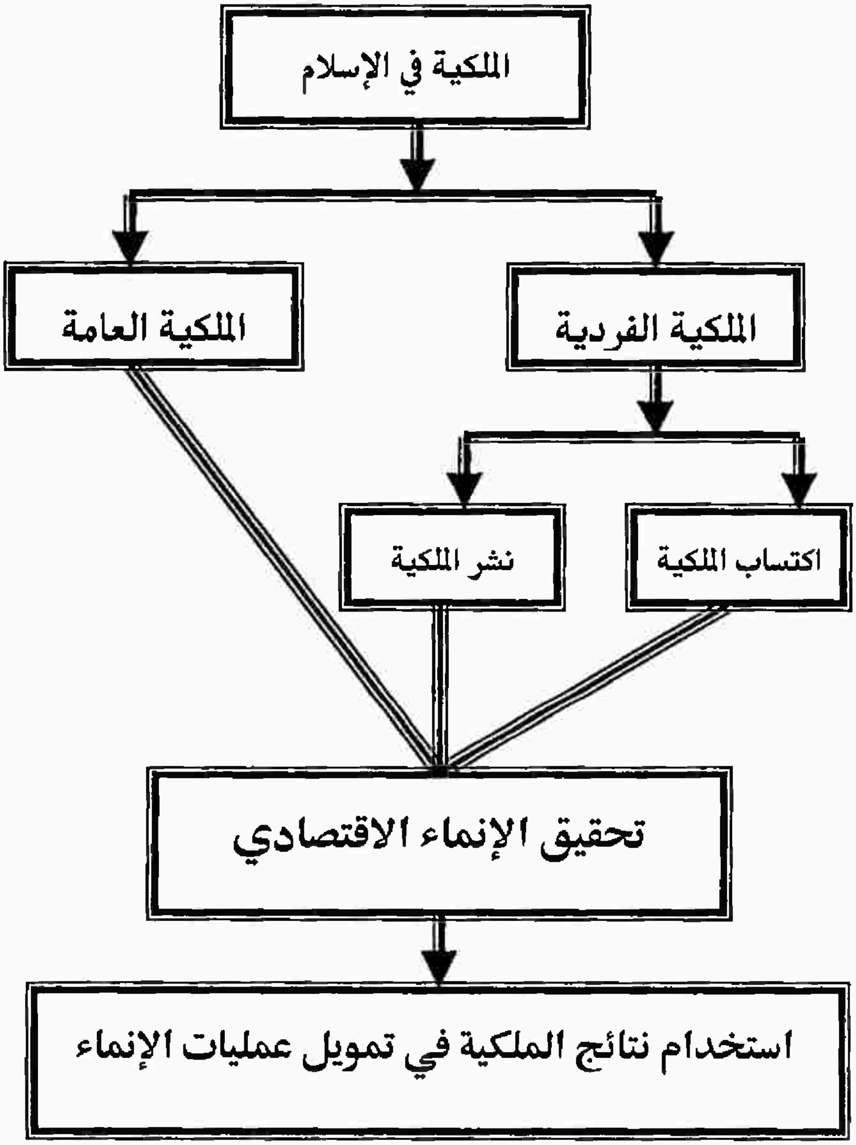

المبحث الثاني

العمل والإنتاج

الآلية الفرعية الثانية التي تساند الأداة الاقتصادية المادية من أجل تحقيق الهدف الاقتصادي لنموذج الإنماء الإسلامي ، والمتمثل في بناء الشق المادي من حياة المسلم هي العمل والإنتاج ، ويمكن تناول هذه الآلية الفرعية من خلال الآتي :

أولاً : العمل والإنتاج في الإسلام :

سبق لنا الحديث عن العمل والإنتاج ، إلا أننا في هذه الجزئية سنتناول مسألتي العمل والإنتاج بوصفهما من الآليات الفرعية ضمن الوسيلة أو الأداة الاقتصادية التي تحقق الهدف الاقتصادي المادي من أهداف نموذج الإنماء الاقتصادي الإسلامي والمتمثل في بناء الجانب المادي في حياة الفرد المسلم .

والعمل يرتبط بالإنتاج أشد الارتباط إذ لا إنتاج بدون عمل ، وتهدف هذه الآلية الفرعية من آليات الأداة الاقتصادية المادية إلى تحقيق أعلى مستوى معيشي للفرد المسلم في ظل الإمكانيات المادية المتاحة في الدولة الإسلامية ، ويمكن التطرق إلى الحديث عن العمل والإنتاج في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي من خلال الآتي :

❖ مفهوم الإنتاج في الإسلام :

للإسلام خصوصية في تعريفه للإنتاج ، قد تختلف عن مفهوم الإنتاج في نماذج الإنماء الأخرى ، فماذا يعني الإنتاج في الإسلام ؟ :

– الإنتاج عبادة : في أكثر من موضع أوضحنا أن العمل عبادة ، وكون العمل عبادة يفرض على المسلم أن يحترم عناصر الإنتاج التي يتعبّد بها ، ويتعامل معها دون إسراف أو تبديد ، وبذلك يتحقق الإنتاج بأعلى إنتاجية وبأقل كلفة ممكنة .

– الإنتاج يحقق منفعة معتبرة : والمنفعة المعتبرة التي يحققها الإنتاج ، تعني توافقها مع الشريعة ، وهذا التميز في مفهوم الإنتاج في الإسلام ناشئ من تعامل الإسلام مع الإنتاج بوصفه عبادة فالله لا يُعبد بمعصية .

❖ بُعدا الإنتاج في الإسلام : للإنتاج في الإسلام بُعدان :

– البُعد الفني أو التقني : وهو لا يختلف من مجتمع لآخر لخضوعه للقوانين العلمية الميكانيكية ، ويحث الإسلام أبناءه على بذل الجهد من أجل اكتشاف القوانين التي تزيد الإنتاج كماً وكيفاً ، فلكل شأن في الكون قانون لتثميره وانقياد غلّته ، وتبلغ به أقصى ما يقدّر لها من مضاعفة الكمية وتحسين النوع ، قال تعالى ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1] ، والمقصود بالقدر في هذه الآية الكريمة أن لكل شيء نظماً وسنناً تنظم علاقته بكل ما في الكون – كما سبق الإيضاح في الفصل السابق – " من أخذه بسنته أقبلت عليه السنة بمالها من إخلاف الرزق ومكنون الثروة ، ولقد بلغ من إحراز ذلك أن جعله الله قانوناً منقاداً لكل من عمل به ، واستغله بحقه ، مؤمناً بالله أو غير مؤمن "[2] ، قال تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[3] .

---

[1]. سورة الطلاق : ٣ .
[2]. د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥ .
[3]. سورة هود : ١٥ .

وقال تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[1] ، وتفيد الآيات الكريمة أن الله لا يخلف سننه الكونية مع من يصلحون بها دنياهم ، حتى ولو كانوا أهل شرك وكفر ، وهذا المنطق قد يفسر انقياد سنن الطبيعة لمن أحرزوا تقدماً في العلوم التطبيقية والتقنية وهم على غير دين الإسلام .

– البُعد الاقتصادي الاجتماعي : بالنسبة إلى البُعد الاقتصادي الاجتماعي للإنتاج فهو بُعد مذهبي يختلف من مجتمع لآخر تبعاً للمذهب الاقتصادي الذي يعتنقه المجتمع ، فإن الإسلام ينظم ويحدد أهداف الإنتاج ، ويحدد كذلك علاقة المنتج بما ينتجه ، وأيضاً علاقة الدولة بالإنتاج ودورها فيه ، وسوف نوالي ما تقدم بمزيد من التفصيل والتحليل في الجزئيات التالية .

❖ أهمية الإنتاج في الإسلام :

للإنتاج أهمية بالغة ، فهو أمر حيوي ومطلب استراتيجي يعتبر عماد الدولة الإسلامية وذروة سنامها ، فهو عبادة خالصة ، وعليه ترتكن صروح الدولة وعمدها وبه تتأكد استقلاليتها وتتحقق كرامتها ، وبكل ذلك ومعه يرتفع شأن الإسلام ويظهر على الدين كله ، وإلى الإيضاح :

---

[1] سورة الإسراء : ١٨-٢١ .

-- مكانة الإنتاج كعبادة : يقول المصطفى الكريم صلوات الله وسلامه عليه " العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال " ومن ثم فإن طلب الحلال الذي يمثل تسعين بالمائة من عبادة الله الواحد الأحد يتجسد في السعي في مناكب الأرض التماساً للرزق من خباياها ، بزراعة أرضها واستخراج معادنها وتداول خيراتها ، أي استخدام القدرات التي أودعها الله تعالى في الإنسان في معالجة الطبيعة التي سخرها الله له من أجل إيجاد المنافع التي تشبع حاجاته ، في حين أن عبادة الإنسان لربه الذي يمثل عشرة بالمائة من عبادته تعالى يتشكل في الصلاة والصيام والزكاة والحج .

– الإنتاج وبناء الدولة : للإنتاج أثره البالغ في بناء الدولة ، فإذا تخلّف الإنتاج أو قلّ عن المستوى المطلوب ، لم تقم لها قائمة بين الأمم والشعوب ، ولم يقدّر لها القيام بواجباتها الموكولة إليها ، وعليه صار إنتاج ما تحتاج إليه الجماعة الإسلامية فرض كفاية على كل إنسان قادر على الوفاء بشيء من ذلك ، وفرض الكفاية في الإسلام أهم وممارسته أفضل من ممارسة فرض العين ، حيث أن فرض العين كالصلاة والصيام إذا تركه الفرد أثم وحده ، وإذا فعله أسقط الإثم عن نفسه فقط ، وفرض الكفاية إذا تُرك أثم كل المكلفين من المسلمين ، فإذا فعله أحد ، أسقط الإثم عن نفسه وعن جميع المسلمين ، وقام فيه مقام المسلمين .

إذن فإنتاج كل ما تحتاج إليه حياة الجماعة فرض كفاية على كل قادر من الأفراد والدولة كذلك ، فإذا عجز الأفراد عن إقامة مشروع معين أو الإنتاج في مجال معين فإن ذلك المجال الإنتاجي يصبح فرض عين على الدولة التي تصبح ملتزمة التزاماً بالقيام بسد ذلك المجال .

– الإنتاج وتحقيق الاستقلالية الدولية : كذلك تبدو أهمية الإنتاج في ضرورة استقلال الجماعة الإسلامية بإنتاج كافة السلع والمنتجات الضرورية ، بحيث لا تحتاج إلى غيرها ،

ويمكنها تحقيق الاكتفاء الذاتي في المجالات الأساسية ، بما يجنبها مغبة الاعتماد على غيرها والتبعية للآخرين .

فللإنتاج دوره في تحقيق الاستقلالية وحفظ الكيان في المجتمع الدولي ، وإذا كان الحق تبارك وتعالى قد قال في الأمة الإسلامية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، فإن وضع الأمة الإسلامية في مقام الشاهد على الأمم الأخرى يوجب عليها أن تكون مستقلة في جميع شئونها لا سلطان لأجنبي عليها ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الاستقلالية الاقتصادية وعدم الاعتماد إلا على الذات ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" التمسوا الرزق في خبايا الأرض " أي اطلبوا الرزق من مخابئ الأرض ، أطرافها وجنباتها ، سهولها ووديانها ، جبالها وأغوارها ، بحارها وأنهارها ، واجعلوها تكشف عما تكنه من ثروات وإمكانيات وأرزاق قدرها خالقها وجعلها سواءً للسائلين .

❖ المسئولية عن الإنتاج في الإسلام :

سبق أن أوضحنا أن ثمة جهتين تتوفر لديهما عناصر الإنتاج : الجهة الأولى ، الأفراد بصفاتهم الفردية وبما يمتلكون من موارد المجتمع التي رُبطت بذواتهم تحت مسمى " الملكية الخاصة " والجهة الثانية ، الدولة بما تضم من موارد مادية قرر الإسلام عدم تملكها ملكية خاصة ، وأوجب أن تُربط بجماعة المسلمين أو بدولتهم تحت مسمى " الملكية العامة

[1] سورة البقرة : ١٤٣ .

وملكية الدولة " ومن التقسيم المتقدم للملكية إلى خاصة وعامة تتحدد درجة تدخل ومسئولية الدولة عن النشاط الاقتصادي ، ويتبين أن المسئولية عن الإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي موزعة بين الأفراد والدولة ، ونوضح ذلك فيما يلي :

– مسئولية الأفراد عن الإنتاج : تحدثنا مراراً عن قيمة العمل والإنتاج ، ومن ثم فكل فرد في ممارسته للإنتاج يكون جزءاً من الهيكل العام للإنتاج في مجتمعه ، كذلك فكل فرد مسئول عن سلوك غيره من الأفراد في ميدان الإنتاج ، عملاً بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

– مسئولية الدولة عن الإنتاج : مسئولية الدولة عن الإنتاج في الإسلام مسئولية كبيرة تبدو في صورتين — كما سبق الإيضاح — الصورة الأولى : المسئولية المباشرة عن الإنتاج في معظم وأهم قطاعات الاقتصاد ، الصورة الثانية : المسئولية غير المباشرة عن الإنتاج من خلال ممارسة حقها في الإشراف على ممارسة القطاع الخاص للإنتاج ومراقبتها لاستخدام موارد وطاقات المجتمع التي وضعها الإسلام تحت تصرف الأفراد .

ثانياً : مبدأ نطاق الغني :

الإنتاج وفقاً للمنهج الإسلامي موجه لسد حاجة جميع المواطنين من السلع والخدمات الضرورية أولاً ، ثم الحاجية ثانياً ، ثم الكمالية أخيراً ، والمنهج الإسلامي لا يعتمد في توزيعه للثروة والدخل والإنتاج على عنصر الملكية والعمل فقط بل يعتمد كذلك إلى جانب هذين العنصرين على حاجة الفرد المسلم ، وحاجة الفرد المسلم تعتبر في الإسلام [illegible] كافياً لأن يحصل صاحبها من الإنتاج الإجمالي على ما يحقق له مستوى كريماً [illegible] الفكر الإسلامي " بنطاق الغني " .

وترتيباً على ما تقدم فإن حاجة الفرد ، سواء وجدت ما يدعمها من القدرة الشرائية أم لم تجد ، هي التي توجه الإنتاج وتحدد مسالكه من خلال " مبدأ نطاق الغني " ويمكن إيضاح وتحليل مبدأ نطاق الغني من خلال الآتي :

❖ مفهوم نطاق الغني في الإسلام :

لمفهوم نطاق الغني أكثر من بُعد ، وقد يؤدي تناول هذه الأبعاد مجتمعه إلى تكوين صورة واضحة ومحددة المعالم والأبعاد لذلك المفهوم :

– البعد النظري لنطاق الغني : فيما يتعلق بإيضاح البعد النظري لنطاق الغني نطرح نصين :

○ النص الأول : يوضح كيف يمكن للمسلم أن يستفيد من تشريع الزكاة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ... حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش " ومن هذا النص يمكن استخلاص الآتي :

□ ينبغي أن تُوفر الزكاة لكل فرد المقدار الذي يحقق له القوام أو السداد في حياته .

□ السداد أو القوام من العيش هو ما يُعرف " بنطاق الغني " .

□ إن نطاق الغني يعني " حد الغنى " ، أي الخروج بالفرد من دائرة الفقر ، ووضعه على أول دائرة الغنى ، طيلة حياته ، وحسب ظروف عصره .

○ النص الثاني : ما قاله عمر بن الخطاب لعماله فيما يتعلق بتوزيع الزكاة " إذا أعطيتم فاغنوا ، كرروا عليهم الصدقة ، وإن راح على أحدهم مائة من الإبل " .[1]

– البعد المادي لنطاق الغني : يحتاج نطاق الغني بالإضافة إلى ما تقدم إلى تحديد مادي حتى يسهل على الدولة السعي نحو تحقيقه ، فنطاق الغني لا يُعين بقدر محدد من الثروة ، ولكنه عبارة عن دفق دائم من الدخل ، ينفقه الفرد على نفسه وعلى من يعولهم في حاجاته المتجددة والمتكررة بصرف النظر عن حجم ثروته ، ويقوم المختصون بتحديد تكلفة " حزمة الاحتياجات " على ضوء الأسعار السائدة والمستوى المعيشي الذي تتيحه ظروف المجتمع ، وللمختصين أن يرتبوا الحاجات المطلوب إشباعها حسب أهميتها ، إن عجزت ظروف المجتمع عن إشباعها كلها ، الأهم فالأهم حتى يستوي الجميع في الكفاف إن لم يكن غير ذلك ، فإن سمحت ظروف المجتمع يتمتع الجميع بمستوى " نطاق الغني " .

– البعد الزمني في تطبيق نطاق الغني : إضافة إلى البعدين اللذين تناولناهما بخصوص نطاق الغني ثمة بُعد ثالث ، يتعلق بالمدة الزمنية التي ينبغي إعطاء المحتاج ما يكفيه خلالها ، ولعل مجرد الحديث عن المدة الزمنية المذكورة ، يفرغ نطاق الغني من مضمونه ومحتواه ، ويبعده عن روح الشريعة الإسلامية ، فنطاق الغني ليس مرحلياً أو علاجاً وقتياً لمشكلة الفقر ، ولكنه قيمة دائمة ومفردة أساسية وثابتة من مفردات الإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي ، ومن ثم فالمدى الزمني لنطاق الغني يعني طيلة حياة المسلم الذي كرّمه الإسلام طيلة حياته ، فضمن له كنفاً حصيناً وحرزاً ركيناً لا يُضام .

[1] . الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، المجلد الثاني ، ص ٣٢٥ .

❖ عناصر مبدأ نطاق الغني :

تتمثل عناصر مبدأ نطاق الغني في الآتي :

– القضاء على الفقر : ينبغي أن تسعى الدولة نحو الفقر لتقضي عليه ، وذلك بتوجيه كل الإمكانات التي يملكها المجتمع نحو إنتاج السلع والخدمات الضرورية والتي يحتاجها كل إنسان في المجتمع ولا تستمر الحياة بدونها ، ثم العناية بعد ذلك بالسلع والخدمات الحاجية والتي تشق الحياة من غيرها ، ثم الاهتمام بالسلع والخدمات الكمالية والتي تجمُل الحياة بها وتهنأ ، وما لم يتوفر النوع الأول من السلع والخدمات فلا يجوز توجيه الطاقات والإمكانات المتاحة نحو النوع الذي يليه .[1]

ويعني هذا العنصر إنتاج السلع والخدمات اللازمة لسد حاجة جماهير الناس لا لسد حاجة فئة معينة تحظى بالقدرة الشرائية ، فمبدأ نطاق الغني لا يعترف بالطلب موجهاً للإنتاج ، وإنما يعترف بحاجة البشر هدفاً يتجه الإنتاج نحو سدها ، حيث أن توفير نطاق الغني لا يقتصر على من يملك القدرة الشرائية ، وإنما يعمد الإسلام إلى تحقيقه لجميع الأفراد سواء أكانت بيدهم القدرة الشرائية أم لم تكن .[2]

وعليه فالحاجة في الاقتصاد الإسلامي تقوم بدور حيوي ومهم في توجيه الإنتاج بصرف النظر عن رصيدها النقدي وقوتها الاقتصادية ، كذلك فهذا العنصر من عناصر نطاق الغني يعني أن المجتمع بطاقاته وإمكاناته مسئول مسئولية مطلقة أمام نفسه وأمام الله عن توفير نطاق

---

[1] المرجع السابق ، ص ٣٩٠ .
[2] المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

الغني لكل أفراده وبخاصة هؤلاء الذين يعجزون عن توفيره بأنفسهم ، وعدم القيام بذلك يُعد خيانة وهي أشد أنواع الخيانة .[1]

– فرض العمل على كل قادر : عندما تُسأل الدولة في الإسلام عن توفير " نطاق الغني " لكل إنسان ، **فينبغي أن تمارس حق فرض العمل على كل قادر عليه ، حتى يساهم بأكبر قدر يستطيعه في خلق الدفق المستمر من الدخل الذي يسد حاجته الأساسية** ، وإن لم يكفه أُعطى ما يحقق له تمام الغني ، **فقيامه بالعمل شرط مبدئي للاستفادة من " نطاق الغني "** ، فقد قرر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن من ينكل عن العمل وهو قادر عليه لا حق له في أن يستفيد من " نطاق الغني " حيث قال :" لا حظ في الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب " .[2]

فأولى أدوات تحقيق " نطاق الغني " استخدام الدولة لعنصر العمل في توفير " نطاق الغني " لصاحبه ، عن طريق نشر نطاق الملكية الخاصة ، وإتاحة فرصة التملك لكل قادر على استثمار ما يملك ، من إقطاع للأرض الموات لإحيائها ، أو توزيع الأرض التي أحيتها على القادرين لاستغلالها ، أو تقديم رأس المال للقادر على مزاولة الإنتاج في أي قطاع إنتاجي لديه فيه خبرة وله عليه قدرة ، ومعنى ما تقدم أن الاقتصاد الإسلامي يقوم على أساس دفع الفقراء في تيار الحياة الاقتصادية عن طريق خلق فرص للعمالة ، فالعمل فريضة على كل قادر ، وللدولة حق إجباره على مزاولته ، وهي تملك إغراءه باستغلال غريزة الملكية الخاصة ، التي فُطر الإنسان عليها .[3]

---

[1] . المرجع السابق ، نفس الصفحة .
[2] . المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .
[3] . المرجع السابق ، نفس الصفحة .

– تزامن الإنتاج والتوزيع : يعنى تـزامن الإنتـاج والتوزيـع حـدوث التوزيـع لحظـة القيـام بالعملية الإنتاجية ، ويتحقق ذلك عن طريق العمالة الكاملة ، وتوجيه كافة الإمكانات نحو إشباع حاجـات الأفـراد الأساسية فالحاجيـة فالكماليـة والـتي يمثلـها " نطـاق الغـني " الإسـلامي .[1]

فالإسلام إذن لا يوزع ثمار الإنماء وإنما يوزع مقدرات الإنماء ، من عمل ، عن طريق تـوفيره لكل قادر ، ومن ملكية خاصة ، فينـشر نطاقهـا ، أو ملكيـة عامـة هـي بطبيعتهـا منتـشرة التوزيع ، إذ هي في خدمة الجميع بأصل نشأتها ، وبهذا يتحقق للإسـلام توزيـع مقـدرات الإنماء ، فيتحقق تزامن الإنتاج والتوزيع ، بحيث يكون إنتاج سلعة أو خدمـة مـا يعـني في نفس الوقت سد حاجة من الحاجات .

إن ما تقدم يفيد أن نموذج الإنماء الإسلامي في تفعيل أداته الاقتـصادية يعمـل وفـق أسـلوب تزامن الإنتاج والتوزيع ، حيث يتم التوزيع لحظة الإنتاج ، بل إن التوزيع ليكاد أن يكـون سابقاً على الإنتاج ، فعندما يوضع تحت يد الفرد إمكان سد الحاجة فإن التوزيع يكون قـد تم قبل الإنتاج .

❖ الأسانيد الشرعية لمبدأ " نطاق الغني " :

يقوم مبدأ " نطاق الغني " على أسانيد شرعية ترتبط أساساً بالموارد المتاحة للمجتمـع ونظـرة الإسلام إلى الإنسان ومكانته ، ونظرة الإسلام للمشكلة الاقتصادية ومعالجته لها ، وقد سـبق لنا تناول كافة هذه القضايا في الجـزء الأول مـن هـذا المجلـد ، ونفـرغ في هـذه الجزئيـة إلى تناول الأسانيد الشرعية التي يرتكز عليها مبدأ " نطاق الغني " والتي تتمثل في الآتي :

[1]. المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .

- موقف الإسلام من ندرة الموارد :

أوضحنا تفصيلاً أن الإسلام يكشف عن أن الموارد التي أودعها الله تعالى في باطن الأرض وظاهرها ، تكفي لسد حاجات جميع البشر مهما تكاثروا وتضاعفت أعدادهم[1] ، وأن ما يبدو من ندرة في الموارد إن هو إلا نتاج مثالب وسوء تصرف من الناس ، فهناك الظلم والأثرة من ناحية وهناك كفران النعمة بعدم استخدام الموارد أو تبديدها من ناحية أخرى[2] ، ومبدأ " نطاق الغني " هو المنقذ من كل ذلك .

- حق الجماعة في موارد الثروة :

كذلك يرشد الإسلام إلى أن موارد الثروة هي حق للجميع لأنها خُلقت من أجلهم وينبغي أن تكون في خدمتهم ، سواء ربطت ملكيتها باسم فرد بالذات ، أم كانت باسم الجماعة أو الدولة ، **إن الملكية الخاصة أو العامة في الإسلام أسلوب استثماري لا أكثر ، أما منفعة الملكية فهي للجميع في ظل الإسلام** ، وعلى هذا الأساس يرتكن مبدأ " نطاق الغني " في بعض مفرداته ، مثل مبدأ المساواة بين الناس في الانتفاع بثمار الملكية أياً كان شكلها ، فإذا كان الفرد قادراً على ممارسة الإنتاج وجب على الدولة أن تهيئ له فرصة الممارسة ، ومن لم يكن ذا قدرة لسبب خارج عن إرادته فعلى الدولة أن تضمن له حقه في موارد الجماعة ، فهو أحد أفرادها وذلك بتوفير " نطاق الغني " له .[3]

---

1. الجزء الاول ، الباب الاول ، من هذا المجلد .
2. المرجع السابق .
3. د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٣٩٨ .

- التكافل بين المسلمين المبني على الإخاء :

الإسلام يرغّب المسلمين في التكافل والتآخي فيما بينهم – كما سبق الإيضاح – فجعل كل فرد مسئولاً عن أخيه في حدود إمكاناته وقدراته ، وعلى الدولة أن تساند الأفراد في تحقيق ذلك بأن تتدخل لمساعدة المحتاجين من خلال نشر مظلة الضمان الاجتماعي التي تجسد مبدأ " نطاق الغني "على أرض الواقع .

شكل بياني رقم (١٨) يوضح كيف يحقق الإنتاج الإنماء الاقتصادي

[بناء الشق المادي في حياة المسلم]

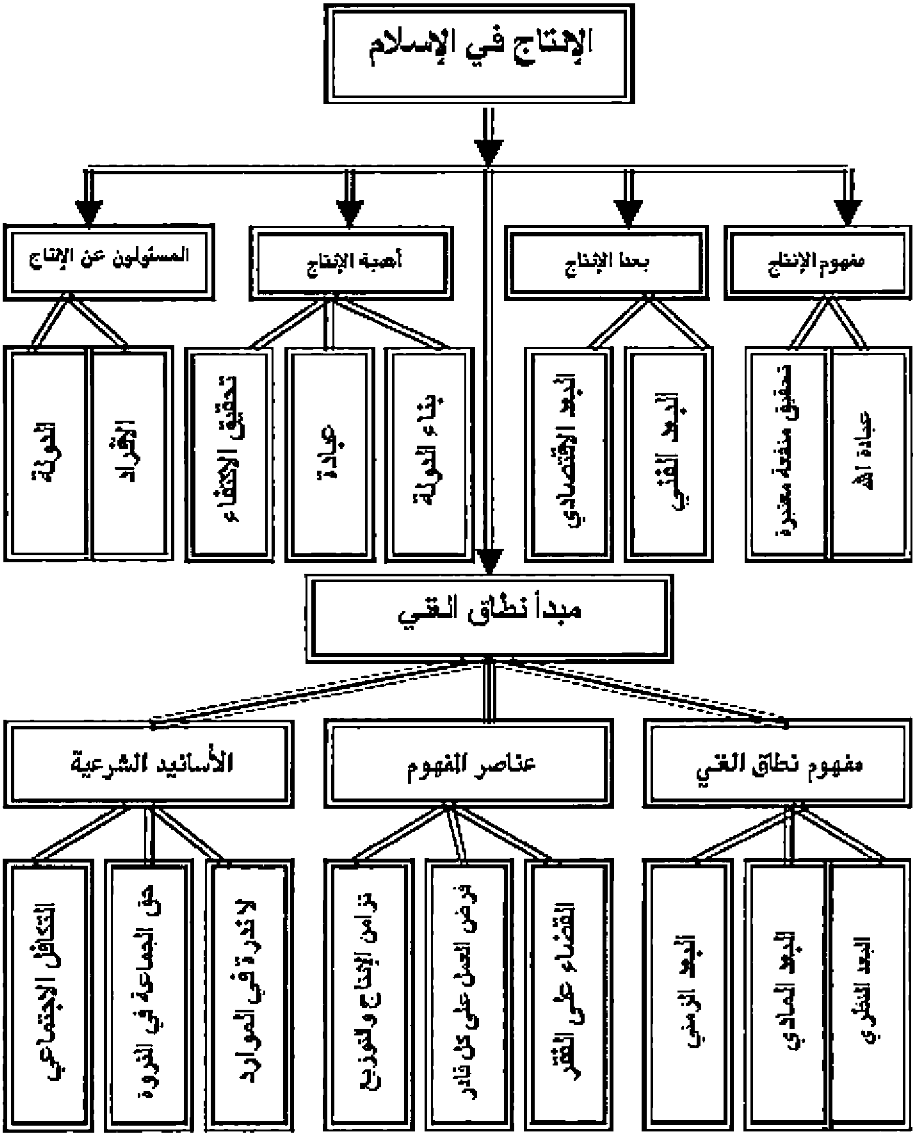

المبحث الثالث

بناء قاعدة تقنية

في هذا المبحث ننتقل إلى الآلية الفرعية الثالثة العاملة في نطاق الأداة الاقتصادية المادية ، وهذه الآلية لا تقل في أهميتها عن الآليتين الفرعيتين المذكورتين ، وتختص هذه الآلية الفرعية ببناء قاعدة تقنية داخل إطار الدولة الإسلامية ذات سمات وخصائص نابعة من الأصول والمبادئ الإسلامية ، وتحتاج هذه القاعدة إلى عمليات بنائية وهيكلية مركبة ومعقدة ، ويمكن تناول هذه العمليات من خلال الآتي :

أولاً : الفرق بين التكنولوجيا وإفرازاتها :

ونحن بصدد التخطيط لبناء قاعدة تقنية ينبغي التفرقة بين المقصود بالتكنولوجيا والمقصود بالإفرازات التكنولوجية ، حيث أن هذه التفرقة ذات أهمية ، خاصة ونحن بصدد بناء القاعدة التقنية :

❖ ماهية مدرك التكنولوجيا :

التكنولوجيا تعني زخم العمليات المتواصلة التي تهدف إلى اكتشافات وابتكارات جديدة ، تستخدم تطبيقاتها في نواحي الحياة المختلفة ، ومن هذا التعريف يمكن استخلاص جملة العناصر التالية :

- عمليات علمية متواصلة : تعبر عن جهد منظم ، يقوده فكر بشري عميق ومرتب يُعرف بالعلم ، وهذه العمليات ليست وقتية أو مرحلية أو مصادفة ، ولكنها عمليات ثابتة

وراسخة ومستمرة محددة الهدف والغاية ، تمتزج فيها جهود الأفراد والمؤسسات والدولة نفسها بأجهزتها ومؤسساتها .

– هدف هذه العمليات هو الاكتشافات والابتكارات الجديدة : في كافة مجالات الحياة الطبيعية والبشرية ، وقد يكون الهدف هو تطوير اكتشافات أو ابتكارات قديمة ، ومن ثم يتضح أن تلك العمليات عبارة عن بناء أو تراكم منطقي متواصل يرتبط بعضه ببعض .

– تُستخدم تطبيقات الاكتشافات والابتكارات الجديدة أو المطوَّرة في نواحي الحياة المختلفة ، وهذا هو الهدف النهائي للاكتشافات والابتكارات العلمية ، فتطبيقاتها هي ما يُعرف بالإفرازات التكنولوجية أو ثمار التكنولوجيا ، وهي تستغل لتسهيل أمور الحياة وتذليل صعابها ومشاقها والسيطرة على مقدرات الطبيعة وعناصر الوجود الإنساني لمصلحة الإنسان .

❖ الفرق بين التكنولوجيا وإفرازاتها أو ثمارها :

بعد أن استبان المقصود من مدرك التكنولوجيا ننتقل إلى إيضاح الفرق بين التكنولوجيا كعملية مركبة ومعقدة وبين إفرازاتها أو ثمارها ، فمن خلال التعريف السابق الذي احتوى الشقين : التكنولوجيا والثمار ، يمكن الفصل بينهما بشكل غير تعسفي من خلال ما يلي :

– المرحلة الأولى في بناء التكنولوجيا : تأسيس وبناء جهد علمي متواصل ، يقوده فكر بشري عميق ومرتب .

- المرحلة الثانية في بناء التكنولوجيا : تشجيع الاكتشافات والابتكارات الجديدة أو المطوّرة في كافة نواحي الحياة وموجودات الطبيعة والكون .

هاتان المرحلتان يكونان معاً مدرك التكنولوجيا ، كعمليات وجهود وتفاعلات تستهدف البحث والكشف عن الجديد .

- المرحلة الثالثة في بناء التكنولوجيا : تطبيقات الاكتشافات والابتكارات الجديدة والمطوّرة في نواحي الحياة المختلفة ، وهو الهدف النهائي للعمليات التكنولوجية ، وتعتبر هذه التطبيقات هي إفرازات وثمار التكنولوجيا وإنجازاتها في كافة المجالات .

ثانياً : الأسانيد الشرعية الموجبة لبناء قاعدة تقنية إسلامية :

ثمة جملة من الأسانيد الشرعية تقود جميعها إلى ضرورة بناء قاعدة تقنية إسلامية ، يمكن رصد هذه الأسانيد فيما يلي :

❖ دعوة المسلم إلى اكتناه الحقائق العلمية :

أرشد الحق تبارك وتعالى جميع خلقه والمسلمين من باب أولى إلى اكتناه الحقائق العلمية والتوصل إلى جذورها وتطبيقاتها ، قال تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾.[1]

[1]. سورة يونس : ١٠١ .

وقال تعالى ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾.[4]

❖ الاستفادة من العلم في الحياة :

زيادة على ما قدمنا يرشد الحق تبارك وتعالى إلى أن العلم لا يُعرف عبثاً ، ولا يستهدف من وراء الإلمام به اللهو واللعب ، ولكنه لإثراء الحياة والعون على فعل الخيرات وصلاح المجتمع وطاعة الله وعبادته ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾.[5]

---

[1] . سورة طه : ١١٤
[2] . سورة الحج : ٤٦ .
[3] . سورة الروم : ٥٠ .
[4] . سورة العلق : ١-٥ .
[5] . سورة آل عمران : ١٨٧ .

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾.[3]

❖ دلالة العلم على قدرة الله وترسيخ الإيمان :

لا يقتصر دور العلم على فوائده العديدة في حياة الفرد والجماعة ، ولكن العلم دلالة على قدرة الله المطلقة وترسيخ لإيمان العلماء والمستفيدين من العلم ، قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾.[5]

وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.[6]

[1] سورة النساء : ٣٧ .
[2] سورة النساء : ٤٤ .
[3] سورة الأنعام : ٦٧
[4] سورة العنكبوت : ٤٣ .
[5] سورة الروم : ٢٢ .
[6] سورة فاطر : ٢٨ .

ثالثاً : خطوات بناء قاعدة تقنية إسلامية :

تحتاج القاعدة التقنية في بنائها إلى تدرج يأتي في خطوات نتناولها في الآتي :

❖ **التلاؤم بين البيئة الإسلامية والقاعدة التقنية :**

سبق أن أوضحنا أن تلاؤم البيئة التي تُستنبت فيها أية أفكار أمر ضروري لنمو تلك الأفكار وازدهارها ، وتحتاج القاعدة التقنية الإسلامية إلى بيئة مناسبة لنموها وازدهارها ، وتعتبر البيئة الإسلامية من أنسب البيئات لاستزراع قاعدة تقنية ، وذلك لما سبق وأوضحنا من تحبيذ الإسلام للعلم واحترامه وتقديره للعلماء ، وحثه الدائم على اكتشاف مجاهل الطبيعة والكون .

❖ **تأسيس القاعدة التقنية [العقول] :**

بعد إعداد وتهيئة البيئة المناسبة وهي البيئة الإسلامية ، نتجه إلى تأسيس القاعدة التكنولوجية ، والقاعدة التكنولوجية قوامها وصلبها العقول والأدمغة المفكرة والعاملة وبدون هذه العقول والأدمغة لا يمكن بحال بناء قاعدة تقنية .

❖ **بناء الصرح التقني :**

بعد تأسيس القاعدة التقنية المتمثلة في إعداد العقول والأدمغة ننطلق إلى عملية بناء الصرح التقني من خلال ترتيب القيم التقنية المتمثل في الفكر التقني وهدفه وغايته ، وينبغي ألا يغيب عن الذهن أن بناء الصرح التقني يحتاج إلى تطور حضاري طويل ، ويتم ذلك من خلال أسلوبين :

– الأسلوب الأول : تطوير التكنولوجيا المحلية المتاحة ، حتى يقدّر لها المساهمة الفعالة في بناء القاعدة التقنية .

– الأسلوب الثاني : تطويع التكنولوجيا الأجنبية لظروفنا ، باستخدام نفس الأفكار التي استخدمها الآخرون ، وتطوير ما تسفر عنه هذه الأفكار لدينا .

رابعاً : العلاقة التبادلية بين القاعدة التقنية وبين نموذج الإنماء الإسلامي :

عند الحديث عن العلاقة بين القاعدة التقنية وبين نموذج الإنماء الإسلامي يتبادر إلى الذهن أن المحلل يتعامل مع علاقة من نوع خاص ، فهي علاقة تبادلية بادئ ذي بدء ، ولكن الإنماء يملك فيها زمام المبادرة ، فالقاعدة التقنية تضع أصولها وأسسها وقواعدها أولاً ، ثم بعد ذلك تنتقل المبادرة إلى الإنماء ، فالتكنولوجيا وليدة الإنماء ، ثم تعود التكنولوجيا مرة أخرى لتؤثر في الإنماء ، وتستمر هذه العلاقة التبادلية الديالكتيكية بين الإنماء والتكنولوجيا في اتجاه تصاعدي .

خامساً : علاقة القاعدة التقنية الإسلامية بالأداة الحضارية لتحقيق الإنماء :

ترتبط عملية بناء القاعدة التقنية الإسلامية بالأداة الحضارية – التي سبق تناولها تفصيلاً في البند السابق – أشد الارتباط ، فالأداة الحضارية قائمة في جزء كبير منها على إنماء وتطوير أدوات التعامل مع عناصر الوجود الإنساني من خلال الاكتشافات والابتكارات في كافة المجالات الطبيعية والكونية ، وهذا عينه يمثل جزءاً مهماً في بناء القاعدة التقنية الإسلامية [1] .

[1]. للتفصيل يمكن الرجوع إلى : المجلد الرابع : الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) ، الجزء السادس : العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، الفصل الثامن.

الفصل الثالث

الأداة العقائدية الروحية

للإنسان موقع فريد في نموذج الإنماء الإسلامي ، فالفرد هو أهم أداة من أدوات الإنماء فهو الفاعل الرئيسي فيها ، وهو كذلك المستهدف الأول والأخير من وراء عملية الإنماء بكافة أشكالها وصورها ، والفرد ينقسم إلى شقين : شق مادي يتمثل في حاجات ورغبات ومتطلبات ، وشق روحي يتشكل في قيم ومبادئ ومُثل ، والإنماء يستهدف النهوض بهذين الشقين المادي والروحي معاً ، ولقد تناولنا تفصيلاً كيف يمكن النهوض بالشق المادي للإنسان المسلم ، وفي هذا الفصل نتحول إلى دراسة كيفية النهوض بالشق الروحي للمسلم عبر الأداة العقائدية الروحية .

والأداة العقائدية الروحية تتصل ببناء عقل الإنسان وفكره ، فهي التي تفرغ فؤاده وعقله من أية أفكار أو معتقدات غير الإسلام ، ثم تملئه فهماً واستيعاباً للدين الإسلامي ، وشتان بين إنسان يملأ قلبه الإيمان وتترع نفسه بالطمأنينة والأمن والقناعة ، وبين آخر يُلهب ظهره الخوف من الفقر ، ويلهث وراء سراب الغنى والثروة الخادع ، فمع أيهما يكون الإنماء أجدى وأنفع وأبلغ تأثيراً ، مع من يكفيه القليل لأنه قنوع ، أم مع من لا يشبع ويقول دائماً هل من مزيد .

إن غذاء الروح يمري سريعاً على الجسد ، ويجعله يكتفي بأقل القليل من سد الرمق أما الروح التي تتضور جوعاً إلى القيمة والمبدأ والمثل فهي لا تشبع حتى ولو أُلقى في جوفها ملء الأرض رزقاً وقوتاً .

إن الأداة العقائدية الروحية تقوم بصنع الفرد المسلم على عيني الإسلام ، وتجعل منه فرداً متميزاً ومتفرداً قادراً على تحمل المسئولية والنهوض بتبعاتها ، ويسلك سلوكاً رشيداً يدفع بالإنماء حثيثاً إلى الأمام ، وتقوم كذلك ببناء أفراد يتحلون بالقيم المطلوب توفيرها في الفرد القادر على الإسهام في تحقيق الإنماء الاقتصادي ألا وهي القيم الإسلامية .

لقد لوحظ اهتمام الإسلام ممثلاً في نموذجه للإنماء بالإنسان مشتملاً جانبيه المادي والروحي ، ومرد ذلك الاهتمام هو أن الإنسان يمثل الفاعل الرئيسي في عمليات الإنماء والإحداث ، كذلك فهو المستهدف الأساسي من وراء تلك العمليات ، فالمخطط للإنماء والمنفذ لعملياته والمتابع والمشرف والمقيّم لتلك العمليات هو الإنسان ثم إن الشق المادي من الإنماء والذي يستهدف تحقيق الحياة الطيبة ، يقصد من وراء ذلك الإنسان ، وعليه فالإنسان هو الوسيلة والغاية للإنماء ، ومن ثم كان من المتوجب بناؤه على القيم الرفيعة والمبادئ السامية التي تتجمع كلها في نموذج الإسلام في الإنماء ، وتعد القيم الإسلامية من أكثر القيم تلاؤماً وتماشياً مع الإنماء الاقتصادي ، مما تقدم فقد رأينا أن نخصص هذا الفصل لتناول الأداة العقائدية الروحية من خلال المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول : الإنسان والإنماء الاقتصادي .

المبحث الثاني : أهم القيم التي ينشأ عليها المسلم .

المبحث الثالث : ملاءمة القيم الإسلامية لاحتياجات الإنماء .

شكل بياني رقم (١٩) يوضح

عناصر الأداة العقائدية الروحية

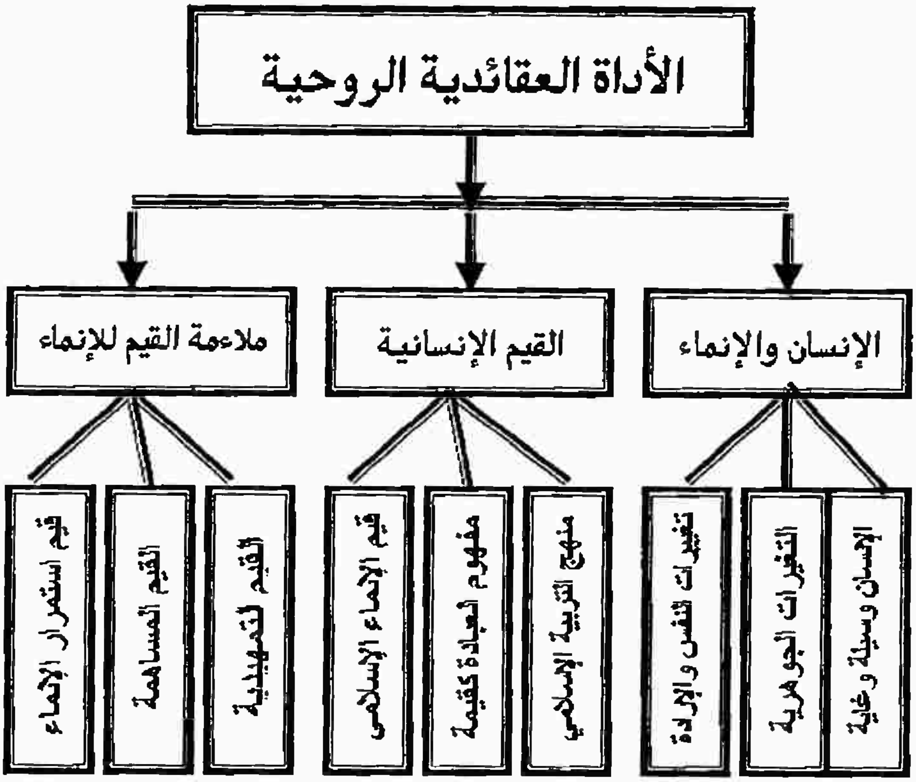

المبحث الأول

الإنسان والإنماء الاقتصادي

يمكن تناول علاقة الإنسان بالإنماء الاقتصادي من خلال الآتي :

أولاً : الإنسان وسيلة الإنماء وغايته :

ذكرنا في أكثر من موضع أن علاقة الإنسان بالإنماء علاقة عضوية ، علاقة الشيء بنفسه ، بحيث يكون الحديث عن الإنماء حديث عن الإنسان في ذات الوقت ، فالإنسان هو صانعه والقائم به ، وهو في نفس الوقت الهدف منه ، فهو الوسيلة والغاية ، السبب والنتيجة ، وغياب دوره الفعال غياب له ، ورغبته في تحقيقه هي نقطة البدء فيه .

إن الأداة العقائدية الروحية تعمل على جعل الإنسان إنساناً على أكمل وجه ، وبذلك تصل به إلى الإنسان الملائم لقيادة الإنماء والنهوض بتبعاته ، من خلال ما يترتب على الإنماء من متغيرات تلحق بالإنسان على مدى فترات طويلة .

ثانياً : الإنماء والتغييرات الجوهرية التي تصيب الإنسان :

قدمنا أن الإنسان هو العنصر الأساسي في الإنماء ، وترتيباً على تصرفاته وسلوكياته تتم عمليات الإنماء ، فإذا لم يتغير الإنسان ويغير آراءه واتجاهاته وسلوكياته ومحتواه النفسي ، فلن يتغير شئ في محبطه المادي ، فكل التغييرات التي تصيب حياة الإنسان إنما ترجع إلى ما يحدثه في نفسه من تغيير ، وكل تغيير مادي يكون تابعاً لتغيير نفسي أصاب أفراد المجتمع .[1]

---

[1] . د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

إن الأداة العقائدية الروحية تعد ضرورة لإحداث تغييرات تصيب الإنسان ، وينتج عنها اتصافه بصفات معينة ، واعتناقه لقيم ومبادئ تقود إلى الإنماء والإحداث ، وهذه التغيرات التي تحدث في حياة الإنسان يتبعها تغيرات أخرى تعتري الحياة الاقتصادية والمادية ، إذن فالإنماء ليس عملية اقتصادية مادية فحسب بل هو جهد ضخم لا يقتصر على إقامة الصروح الإنتاجية ، بل قبل ذلك يجب أن ينصرف إلى تهيئة الفرد مادياً ومعنوياً لمجابهة عملية الإنماء الشامل ، وأن هذا الجهد المنصب على بناء الفرد والنتائج المترتبة عليه تمثل في النهاية البناء الضخم الذي نطلق عليه الإنماء الاقتصادي ، فهو في جوهره تغييرات تصيب الإنسان قبل أن تصيب أي شيء آخر .[1]

ثالثاً : تغييرات النفس البشرية :

مما تقدم انتهينا إلى أن التغييرات التي تصيب الإنسان والتي تمثل الإنماء ذاته على المدى الطويل ، هي عينها المواقف والتوجهات الفكرية والنفسية التي تتصل وترتبط عضوياً بالأصول والينابيع العقيدية والروحية التي بدونها لا يمكن أن يوجد نظام للحياة يكفل إطلاق قوى الإنماء ويضمن استمرار تقدمها ، وذلك أن الإنماء في جوهره عبارة عن عملية تفاعل بين مجموعتين من العوامل .[2]

❖ عوامل خارجة عن ذات الفرد وتحيط به ، وهي جملة المكونات والمفردات التي تعج بها البيئة المحيطة بالإنسان ، وهذه المفردات عبارة عن النظم الفرعية السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية التي تشكل في مجموعها النظام المجتمعي الذي يعرف بالمجتمع .

---

[1]. المرجع السابق ، ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .
[2]. المرجع السابق ، ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

❖ عوامل داخلية في ذاتية الفرد ، وتتمثل في مجموعة القيم والمعتقدات التي يعتنقها الفرد ويؤمن بها .

ويعقب تبلور المجموعتين من العوامل والمحددات حدوث تحاور فيما بينهما ، وهذا التحاور يأخذ أشكالاً عدة :

– الشكل الأول : أن تكون المجموعة الأولى من العوامل والمحددات معوقة ومحبطة للمجموعة الثانية ، وأن تكون المجموعة الثانية من العوامل هي الأخرى فاسدة ومريضة ، فستلتقي المجموعتان ، وينتج عنهما التردي والانحطاط ، الذي يؤدي إلى التخلف .

– الشكل الثاني : أن تكون المجموعة الأولى من العوامل والمحددات دافعة ومشجعة على الإنماء والتطوير ، وأن تكون المجموعة الثانية من العوامل على حالها كما في الشكل الأول فاسدة ومريضة ، فلن يفيد شيئاً توفر المجموعة الأولى ، فسيبددها الفرد ويقضي عليها بقيمة الفاسدة وتصوراته المعطّلة وهمته المحبطة .

– الشكل الثالث : أن تكون المجموعة الأولى من العوامل والمحددات معوقة ومحبطة وأن تكون المجموعة الثانية مشجعة ودافعة في اتجاه الإنماء ، فإن المجموعة الأخيرة لن تستسلم للتحدي والإحباط المفروض عليها من المجموعة الأولى ، بل ستعمل على مقاومة سلطانها وما تحاول أن تفرضه من تخلف ونكوص ، وسيقدر لها التفوق والظهور ويتحقق الإنماء .

– الشكل الرابع : أن تكون المجموعة الأولى من العوامل والمحددات دافعة ومشجعة على الإنماء والإحداث ، وأن تكون المجموعة الثانية كذلك مشجعة ، فسيكون الاتجاه إلى الإنماء سريعاً وفعالاً .

وهكذا فإن التغييرات التي تصيب الإنسان فينتج عنها تغيير واقعه ، هي في الأساس نابعة من قيم الإنسان ومعتقداته وأخلاقه ، فالتغيير الذي يصيب النفس الإنسانية فيمنحها الإرادة الصلبة والقدرة على المغالبة والتصدي للمشكلات وتحديها ، هو أول ما يتطلبه بناء الإنسان من أجل تحقيق الإنماء ، وإرادة الصمود والمغالبة هذه لا يمكن أن تتحرك في الإنسان إلا من خلال فكرة أو عقيدة أو مبدأ يؤمن به ، ويستمد القوة من معينه ، ومن ثم فإن العقيدة هي جوهر بناء الإنسان ، ومن هنا تبدو أهمية الأداة العقائدية الروحية ، التي تجعل الفرد المسلم يحيا في ظل عقيدة الإسلام ، ثم بناؤه بناءاً إسلامياً ، أي يتركب ويتكون من مجموعة القيم التي يمثلها الإسلام ، والشكل البياني التالي يوضح علاقة الإنسان بالإنماء من خلال علاقة التفاعل بين العوامل البيئية المحيط به ، والعوامل الداخلية الذاتية .

شكل بياني رقم (٢٠) يوضح علاقة الإنسان بالإنماء من خلال علاقة التفاعل بين العوامل الخارجية في البيئة المحيطة والعوامل الذاتية الداخلية بالإنسان

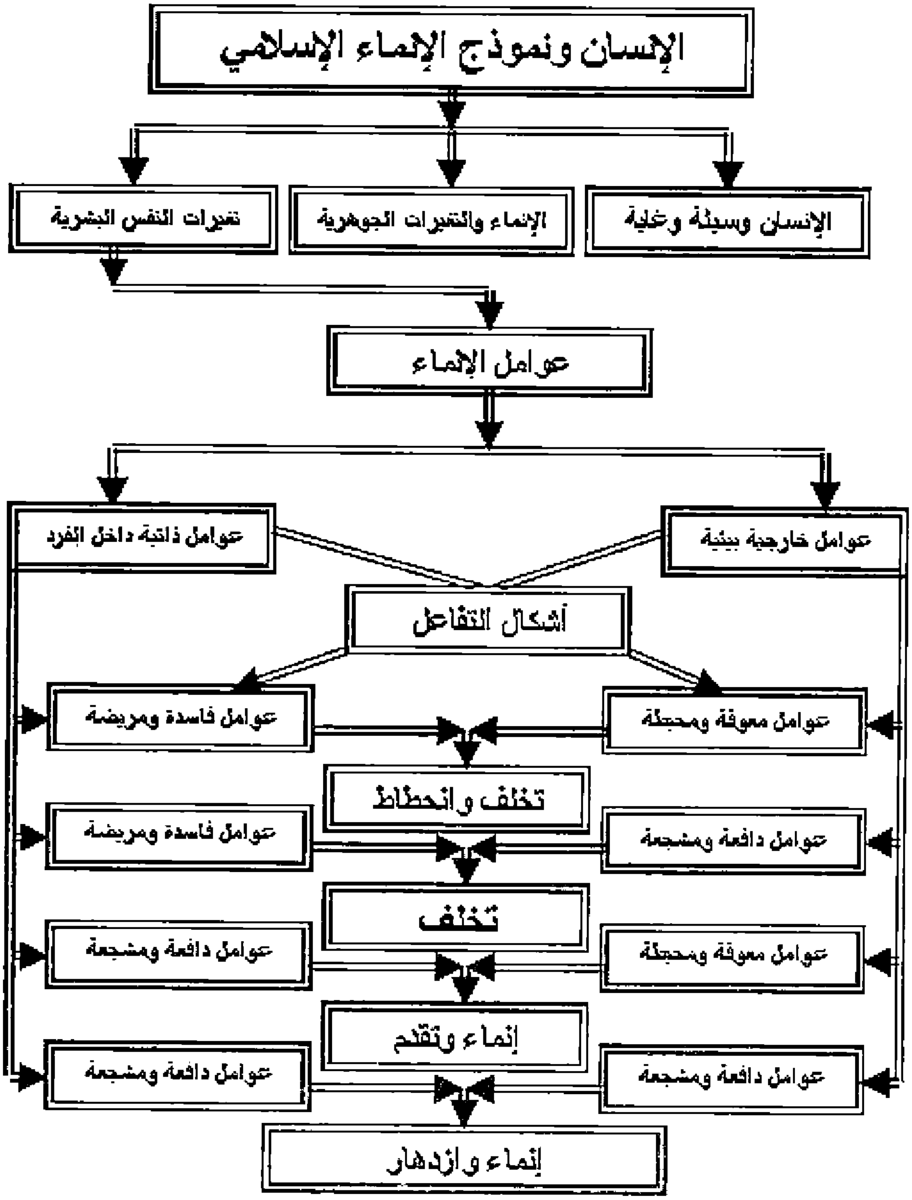

المبحث الثاني

أهم القيم التي ينشأ عليها المسلم

في هذا المبحث نحاول رصد مجموعة القيم التي ينشأ عليها المسلم ، وتكون حافزاً له ودافعاً في اتجاه الإنماء ، ويتم ذلك الرصد من خلال التدرج التالي :

أولاً : منهج التربية الإسلامي :

إن منهج التربية الإسلامي الذي يتطلبه نموذج الإنماء الإسلامي يعد ركيزة جوهرية لتحقيق الانطلاق نحو الإنماء ، ويقوم ذلك المنهج على الاستقلال الفكري ، وينبع من عقيدة الإسلام ويعمد إلى غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة ، وتأصيلها في أعماقهم ، تلك القيم التي بدونها سيظل الإنسان المسلم أكبر عقبة في سبيل الإنماء ، أما بها فسيتحول إلى محرك رئيسي لقوى الإنماء .

ثانياً : مفهوم العبادة كقيمة في منهج التربية الإسلامي :

يبدأ منهج التربية الإسلامي بوضع أعمال الإنسان التي كلف بها ، في وضعها المحدد في منطق هذا المنهج ، ألا وهو وضع العبادة ، فلم يخلق الإنسان في مفهوم الإسلام إلا لعبادة الله سبحانه وتعالى ، وليس له هدف آخر ، ومن ثم فكل ما يكلف به الإنسان فهو عبادة يؤجر عليها من الله سبحانه وتعالى .[1]

---

[1]. المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، وتفيد هذه الآية الكريمة أن الإنسان لم يُخلق إلا للعبادة .

كذلك قرر الحق تبارك وتعالى أنه خلق الإنسان ليقوم بالخلافة على الأرض ، فقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، فأعباء الخلافة والقيام بها إذن هي العبادة ، وهي تتمثل في عمارة الأرض .

ثم قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[3] وتفيد هذه الآية الكريمة أن الله يطلب من الناس عمارة الأرض والطلب هنا وجوب ، وعمارة الأرض قياماً بواجب الخلافة طبقاً لشروط المستخلِف ، وهو ما يمثل العبادة له سبحانه ، وهكذا يتضح مفهوم العبادة في المنهج الإسلامي للتربية كقيمة تغرس في الفرد قبل أن يبدأ التفقه والمعرفة ، وحتى يكون لها أثرها في بقية القيم التي سيتخلق بها الفرد تدريجياً .

فكل ما يدخل في إطار تعمير وانماء الحياة وجعلها أيسر سبيلاً وأقوم طريقاً ، فهو عبادة لله تعالى ، ولقد جاءت السنة المطهرة لتقرر هذا المفهوم دون لبس أو غموض ، فقد ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخوان ، ذكرا له شأن ثالثهم ، أنه لا ينتهي من صلاة إلا إلى صلاة ، ولا يفرغ من صوم إلا إلى صوم ، فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم عمن يرعى إبله ويسعى على ولده فقالا ، نحن ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنتما أعبد منه ، ومن ثم

---

[1]. سورة الذاريات : ٥٦ .
[2]. سورة البقرة : ٣٠ .
[3]. سورة هود : ٦١ .

تقرر السنة المطهرة أن الصلاة والصيام ورعي الإبل والسعي على الأولاد عبادة لله تعالى ، لا تختلف إحداهما عن غيرها ، بل إن السعي على الأولاد ورعي الإبل وعمارة الأرض بأية وسيلة مباحة أفضل من صلاة وصوم النفل ، وذلك موقف إسلامي مقرر .

ويروي عن أنس أنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمنا الصائم والمفطر ، قال : فنزلنا منزلاً حاراً أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ، فمنا من يتقي الشمس بيده ، قال : فسقط الصُّوام ، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله " ، فهنا صيام لا ينكر أحد أنه عبادة بل ركن جوهري من أركان الإسلام وأحد فرائضه الخمسة ، والى جانب ذلك فهناك عمل عادي يتمثل في ضرب الخيام وسقي الركاب ، فمن فاز بالأجر ؟ الصائم أم من قام بالعمل العادي ؟ لقد فاز به الثاني ، ومعلوم أن الأجر لا يكون إلا على العبادة ، فهذا الحديث يفيد أن العمل عبادة من ناحية ، كما يفيد أنه أفضل من الصيام في بعض المواطن ، وليس بعد ذلك دليل على أن العمل بمعناه الاقتصادي عبادة من أفضل العبادات في الإسلام .

وعندما ينشأ الفرد على هذا المفهوم للعبادة ، انغرس في وجدانه مراقبة الله تعالى في كل عمل يقوم به ، إذ هو يعبد الله تعالى ، ونظافة القلب واليد مطلوبة في العبادة ، فقد روي عن الرسول الكريم أنه قال :" أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً " وبهذا المفهوم يمارس المسلم عمله على الأرض مراقباً رب السماء ، فلا يحتاج إلى رقيب من البشر ، ذلك أنه يعلم أن إتقان العمل وحسن القيام به لا ظاهراً فقط وإنما باطناً أيضاً ، جزء من التكليف الذي عليه أن يقوم به ، وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى " ، وقال الحق تبارك وتعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ

﴿بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾[1] ، وتفيد هذه الآية الكريمة أن كل إنسان يعمل حسب مذهبه وعقيدته التي تشاكل حاله ووضعه الفكري وتلائمه .

وهكذا تكون أعمال المسلم عبادة لله تعالى ، إذا جاء بها بنية إرضاء الله ولزوم طاعته حتى ما يظنه الناس بعيداً عن ذلك ، فإتيان الشهوة في موضعها عبادة لله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" وفي بُضع أحدكم صدقة " قال الصحابة : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، فيقول صلى الله عليه وسلم :" أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم ، فقال :" فكذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر " .

فالعبادة في الإسلام ليست محصورة في النسك والشعائر كالصلاة والصيام ، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية ، فيجب أن يأتيها على أنها عبادات ، فالإسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو أخروي ، وإنما الإسلام وحدة واحدة تأتلف فيها الأرض والسماء وتذوب الدنيا في الآخرة .[2]

ثالثاً : أهم القيم ذات الصلة بالإنماء في منهج التربية الإسلامي :

بعد استقصاء قيمة العبادة كقيمة أساسية في منهج التربية الإسلامي ، نتحول إلى رصد مجموعة القيم التي تجعل من الإنسان لبنة صالحة دافعة للإنماء ومحققة لعمارة الأرض ، وسوف نقتصر على تناول بعض القيم التي تُظهر عظمة ذلك المنهج ، وتتصل بشكل مباشر بنموذج الإسلام في الإنماء :

---

[1]. سورة الإسراء : ٨٤ .
[2]. د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

❖ العلم [1] :

من أهم ما يغرسه منهج التربية الإسلامي في نفسية وعقل المسلم ، موقفه من العلم والعلماء ، فهو يغرس في نفس المسلم النهم للعلم ، فيعلمه أن يعيش حياته كلها طالباً له ، مستزيداً منه ، باذلاً وسعه في تحصيله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، لا يمنعه تقدم في السن ، ولا تحصيل قدر منه مهما بلغ ، ولا بُعد الشُّقة بينه وبين مصادره ما تمكن من الوصول إليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد " ، ولا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم ، فقد جهل ، ويعلمه ربه أن يدعوه بأن يزيده علماً ، قال تعالى ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[2] ، ويوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين قائلاً :" اطلبوا العلم ولو في الصين " .

مما تقدم يتضح أن المنهج الإسلامي في التربية يرى في العلم طريقاً يسار إليه مدى الحياة ، وليس نهاية معينة يوصل إليها ، وهذه القيمة تستتبع قيمة أخرى تتعلق بمكانة العلماء في الأمة الإسلامية ، ويربى المسلم على التحلي بها وهي احترام العلماء ومعرفة قدرهم فهم حملة العلم ، ومن ثم تكون لهم الصدارة في المجتمع ، ولهم حق القيادة والتوجيه فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء يوم القيامة " ، وقال صلى الله عليه وسلم :" لمداد جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله " ، ومن ثم فإن الكلمة العليا في المجتمع الإسلامي لا ينبغي أن تكون لغير ما خطه العلماء بمدادهم الطاهر النبيل ، ويصون هذه القيمة ويكملها أن العلم في الإسلام مسئولية

---

[1] للتفصيل يمكن الرجوع إلى : المجلد الرابع ، الذات الحضارية للإسلام (الحضارة الإسلامية) الجزء السادس العلوم الطبيعية وتطبيقاتها .
[2]. سورة طه : ١١٤ .

ويهدف إلى بناء الحياة ، فلا يعرف الإسلام " العلم للعلم " وإنما العلم لبناء الحياة ولفائدة كل من يطلبه ، فمن كتم العلم في الإسلام فقد باء بالخسران وخان الميثاق الذي أخذه الله تعالى على العلماء ببيان العلم وعدم كتمانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه ماذا عمل به " .

ويتفرع من موقف الإسلام من العلم ومكانة العلماء ، موقفه من الخبرة وأهلها ، فما أهل الخبرة في فرع من فروع العلم إلا علماء ذلك الفرع ، فينشأ المسلم على احترام صفة التخصص في المتخصصين ، ومن منطلق المسئولية عن كل كلمة ينطق بها المسلم فإنه ينشأ على عدم اقتحام الموضوعات دون علم وفهم ، فالإسلام يعرف الخبراء المتخصصين في كل مجال ، وهم القادرون على الفتوى فيه ، وإعطاء الرأي السديد والمشورة الصادقة .

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.[2]

وقال تعالى ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾.[3]

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.[4]

---

[1]. سورة الأحزاب : ٧٠ .
[2]. سورة ق : ١٨ .
[3]. سورة فاطر : ١٤ .
[4]. سورة النحل : ٤٣ .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.[1]

فأهل الاستنباط هم الباحثون القادرون على الوصول إلى صواب الرأي ، فهم أهل الخبرة والثقة معاً ، بل إن معرفة الله تعالى لها خبراؤها الذين يمكنهم أن يرشدوا إليه سبحانه من يريد التعرف عليه ، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾.[2]

وهكذا ينشأ المسلم ويربى على هذه القيم ، يطلب العلم وينمي معارفه ومداركه ويحترم من يحمله ، ولا يلجأ في شئونه إلا إلى الخبراء المتخصصين في كل فرع من فروع الحياة ، وهو ما يعني ضرورة توفر كل الفروع العلمية بالمجتمع الإسلامي .[3]

❖ العمل :

من القيم التي يحرص الإسلام على غرسها في نفوس معتنقيه قيمة تقديس العمل واحترامه لذاته ، والارتقاء به إلى درجة العبادة التي ليس فوقها درجة في الإسلام ، فهي التي من أجلها وُجدت الحياة وخُلق الناس ، فكأن الإنسان في الإسلام خُلق ليعمل ، ومن ثم فإن الجزاء سيكون يوم القيامة على أساس العمل ، ويجب أن يكون كذلك في الدنيا .[4]

[1]. سورة النساء : ٨٣ .
[2]. سورة الفرقان : ٥٩ .
[3]. د. يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .
[4]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ولقد قدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في تقديس العمل ، فقد روي عنه أنه " ما رؤي فارغاً في أهله قط ، إما يخصف نعله أو يخيط ثوبه أو ثوباً لمسكين " .

والمسلم ملتزم بالعمل والعطاء مادام على قيد الحياة ومادام قادراً على العمل ، فالإسلام لا يعرف سناً يتوقف المسلم عندها عن العمل ، فهو مسئول عن عمره فيما أفناه ، ولا يمكنه الاعتذار بأنه تجاوز الستين أو السبعين ، حتى أن قيام الساعة لا ينبغي أن يحول بينه وبين أداء عمل منتج ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها فليفعل " ، كما جاء القول الإسلامي المأثور " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً " معبراً عن ذات المعنى ، والإسلام يوفق للمسلم بين عمل الدنيا وعمل الآخرة ، فهو عندما يبتغي وجه الله في كل عمل ، فهو يعبد الله بعمله ، ثم هو يعبد الله بالشعائر والنسك ، ويقول الإمام علي كرم الله وجهه " للمؤمن ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يرم فيها معاشه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل " ومن ثم فكل الساعات عبادة .

فالعمل في الإسلام عبادة لها نفس أهمية الصلاة ، ولا يقل في قوة طلبه عنها ، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾[1] ، لقد جاء الأمر بصلاة الجمعة في هذه الآية الكريمة مع الأمر بالعمل ، وهذا يفيد أن الصلاة لا تختلف في فرضيتها عن العمل لأن كليهما عبادة خُلق لها المسلم .

[1]. سورة الجمعة : ٩-١٠ .

كذلك ينشأ المسلم على أن العمل معيار للتفاضل بين الناس ، كما أن التقوى وطاعة الله معيار للكرامة والأفضلية عند الخالق سبحانه ، قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.[1]

وقال تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.[2]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يا فاطمة بنت محمد اعملي لا أغني عنك من الله شيئاً " ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يابني هاشم لا يأتيني الناس بالأعمال ، وتأتونني بنسبكم إلى رسول الله يوم القيامة " .

ويقول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه " لو جاءت الأعاجم بالأعمال فهم أولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منا ".

هكذا يقف العمل في منهج التربية الإسلامي إلى جانب التقوى معياراً للتفاضل في الدنيا والآخرة ، فالعمل مع الإيمان هما كل شيء ، ولا يجدي في الإسلام إيمان بلا عمل ، كما أنه لا قيمة لعمل بلا إيمان ، ومن ثم قُرن الإيمان بالعمل الصالح كقيمة يربى عليها المسلم وينشأ عليها ، وهي ذات أثر بليغ في تحقيق الإنماء .

---

[1] سورة النحل : ٩٧ .
[2] سورة النساء : ١٢٣ .

❖ المال والإنتاج والاستهلاك :

المال في منهج التربية الإسلامي هو قوام الحياة ، وإصلاحه والقيام عليه إصلاح للحياة نفسها ، وإضاعته صفة لا تقل في أثرها عن خيانة الأمة وتبديد مقدراتها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال " .

لقد تضمن الحديث الشريف قواعد بناء الدولة الإسلامية المتمثلة في الآتي :

- عبادة الله تعالى .
- لزوم الجماعة.
- الشورى في الحكم والنصح للحكام .
- التفرغ للعمل والبعد عن التفاهات .
- البعد عن اللجاج .
- المحافظة على عصب الحياة الاقتصادية وما به قوام المجتمع ألا وهو المال .

إن منهج التربية الإسلامي يتعامل مع المال على أنه أداة للاستثمار وتكوين رأس المال ، لا أن يكون أداة للاستهلاك وتبديد الثروات ، فلا إسراف ولا تبذير ، ولكن اقتصاد وتدبير ، ولا خضوع لنزوات النفس وشهواتها ، ولكن كبح لجماحها ، فليس كل ما تشتهي يقدم لها ، وعلى المسلم أن يكون عقلانياً ورشيداً في تلبية مطالب النفس البشرية ، يقول عمر بن الخطاب مستنكراً الخضوع لشهوات النفس " أو كل ما اشتهيتم اشتريتم " ، وفضلاً عن

ترشيد الاستهلاك فإن المسلم ينشأ من ناحية أخرى على أن الإنتاج وزيادة رأس المال سلوك مرغوب فيه وضروري .[1]

كذلك يرشد منهج التربية الإسلامي إلى أن المال المنتج لا ينبغي تحويله إلى مال استهلاكي ، لأن المال الاستهلاكي فيه تخفيض لمستوى الحياة الطيبة وإضرار بالمجتمع ، وهذا يعني انعدام البركة ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يُبارك في ثمن أرض أو دار إلا أن يجعل في أرض أو دار " ، وهكذا ينشأ المسلم وتُغرس في تكوينه تلك القيم تجاه المال والإنتاج والاستهلاك ، فالمال قوام الحياة يجب صيانته والمحافظة عليه وعلى إنتاجيته ، ورأس المال منه يجب زيادته ومداومة تجميعه ، والإنتاج ومزاولته أمر مقدس لا يصح النكوص عنه في أي ظرف ، ولا ينبغي السماح بتوقف عجلته حتى لو أزفت الآزفة ، والاستهلاك فِ حد التوسط والاعتدال ، فلا سرف ولا تقتير ، هذه هي القيم التي يقوم عليها منوج التربية الإسلامي ويسعى لغرسها في نفوس الناشئة حتى يشبوا وهي جزء من تكوينهم ، تطبع سلوكهم وتوجه مسيرتهم ، وهي ليست كل القيم التي يغرسها المنهج الإسلامي في تكوين المسلم ، بل هناك الكثير من القيم التي لا يتسع المجال لذكرها .

---

[1] يوسف إبراهيم يوسف ، استراتيجية وتكتيك .. ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

المبحث الثالث

ملاءمة القيم الإسلامية لاحتياجات الإنماء

كافة القيم الإسلامية التي ينتظمها نسق واحد تلائم نموذج الإنماء الإسلامي ، ويمكن تقسيم تلك القيم إلى ثلاثة أقسام تتكاتف جميعها من أجل تفعيل نموذج الإنماء الإسلامي وتحقيق أهدافه ، ويمكن إيضاح ذلك من خلال ما يلي :

أولاً : القيم التي تمثل شروطاً ممهدة للإنماء :

ثمة قيم في منهج التربية الإسلامي تمهد نفس الإنسان وتهيأ روحه لكي يُقبلان على الإنماء برحابة ، ويقبلانه كنمط حياة وعنصر وجود وبقاء ، ونذكر أهم تلك القيم في الآتي :

❖ **قيمة الخلافة عن الله سبحانه وتعالى :**

في مواضع شتى تناولنا هذه القيمة وأسهبنا في الحديث عنها ، ولكن فيما يتعلق بعلاقتها بمنهج التربية الإسلامي فقد يكون للحديث بقية ، فلعل هذه القيمة من أعمق القيم التي يغرسها منهج التربية الإسلامي في نفوس الناشئة ، فهي تؤصل لمفهوم الإنسان عن الحياة ودوره فيها وقيمة ذلك الدور ، فالحق تبارك وتعالى قد استخلف الإنسان في الأرض ، وألزمه بتنفيذ إرادته ، وتلك الإرادة تقضي بأن يقوم الخليفة بعمارة الأرض وأن يحقق بهذه العمارة عبوديته لله تعالى ، فيعبده بكل حركة من حركاته وسكنة من سكناته .[1]

[1]. المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

وترتيباً على ما تقدم فإن قيمة الخلافة عن الله في الأرض تعتبر محركاً قوياً يدفع بقوى الإنماء إلى الأمام ، وتوفر أرضية صلبة لانطلاق طاقات الإنسان ، فالهدف الذي خُلق من أجله هو عمارة الأرض ، كما أن مطلوب الله من عباده هو عمارة الأرض ، والسعي من أجل تحقيق تلك العمارة هو عبادة الله تعالى ، وقد أُمر بأن لا يكف عن عبادة الله أناء الليل وأطراف النهار .[1]

إن منهج التربية الإسلامي ينبغي أن يربي الناشئة على هذه القيمة حتى تؤدي دورها في التمهيد والإعداد لتحقيق الإنماء الاقتصادي .

❖ قيمة لزوم الجماعة :

ترتبط قيمة لزوم الجماعة وعدم شق عصا الطاعة ارتباطاً عضوياً بالاستقرار وسيادة الأمن والنظام ، ويعتبر الاستقرار وسيادة الأمن والنظام من أهم شروط الإنماء ، فالإسلام عندما أمر أتباعه بلزوم الجماعة وطاعة ولي الأمر أياً كانت مواصفاته إذا ما حقق شرطاً واحداً وهو إقامة الشريعة الإسلامية ، فقد جعل الاستقرار السياسي أمراً ميسوراً ، وعليه فتطبيق شريعة الإسلام يكفل تحقيق الاستقرار والأمن والنظام ويمهد السبيل للإنماء .

❖ قيمة الحفاظ على الوقت :

الزمن في حياة المسلم قدره عظيم ، فهو مسئول عن كل لحظة من لحظات حياته فيم أفناها ، في الجد والاجتهاد والسعي إلى الخير أم في العبث واللهو والفساد ، وما طاقات المجتمع إلا أوقات أفراده ، فالمسلم حتى عندما يفرّج عن نفسه ويروّح عنها فذلك بإتيان المفيد

[1]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .

والمجدي من الأقوال والأفعال ، وبذا يظل طيلة حياته في حفظ الله ورعايته ، فالجد إذن مطلب ضروري ومهم من أجل تمهيد السبيل للإنماء والازدهار .

ثانياً : القيم التي تمثل إسهاماً مباشراً في الإنماء :

بعد القيم الممهدة للإنماء تأتى القيم التي يعتبر توفيرها قياماً فعلياً بجهود إنمائية ، وتتمثل أهم هذه القيم في الآتي :

❖ قيمة العمل وضرورته :

أوضحنا مراراً أن العمل في الإسلام هو الحياة نفسها ، وأن استمراره فريضة مثل الصلاة والصيام ، وأنه مصدر الكسب ومعيار التفاضل بين الناس في الدنيا والآخرة ، والعمل هو الذي يولد المال ويخلق الثروة وينميها ويعطي الإنتاج قوة دفع واستمرارية ويحقق العدالة الاجتماعية ، ومن ثم فالعمل من أهم قيم تحقيق الإنماء في الإسلام .

❖ قيم المحافظة على المال وزيادة الإنتاج والاعتدال في الاستهلاك :

بينّا كذلك قيم المحافظة على المال لأنه قوام الحياة وضرورة تثميره وإنمائه وعدم تبديده وتحقيق التراكم الرأسمالي واستخدامه في زيادة الإنتاج ، وقيم العمل الدائب على زيادة الإنتاج واستخدام أرقى الأساليب من أجل ذلك ، وقيم الاعتدال في الاستهلاك وتحريم الإسراف والتبذير ، كل تلك القيم هي قيم التحقيق الفعلي للإنماء الاقتصادي وفق نموذج الإنماء الإسلامي .

ثالثاً : القيم التي تمثل سياجاً لاستمرار الإنماء :

إلى جانب ما قدمنا من قيم ممهدة وأخرى مساهمة في الإنماء ، كذلك هناك قيم حافظة للإنماء وضامنة لاستمراره وتواصله ، فقيادة العلماء كفيلة بسيادة النظرة الموضوعية إلى الأمور ، وصيانة قرارات الإنماء من عبث وأهواء الجاهلين ، كما أن المنهج العلمي كفيل بتقدم البحث العلمي ، وتطبيق نتائجه على أساليب أداء العمليات الإنتاجية في المجتمع ، ومن ثم خلق وتكوين القاعدة التقنية الذاتية — التي سبق الحديث عنها — كما أن قيمة الطلب الدائم والمستمر على العلم يؤدي إلى إنماء خبرة جميع القائمين بجهود الإنماء ويضمن عدم توقف حركة الإنماء بل ويدفعها إلى الاستمرار ، ومن ثم يكون الإنماء الإسلامي كما قدمنا " تنامي ذاتي متواصل " .